

المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد





وعلاماته

تأليف
الدكتور / فضل إلهي



تأليف

الدكتور/ فضل إلهي

وكالة المطبوعات والبحث العلمي
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
المملكة العربية السعودية

١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الهي ، فضل

حب الرسول صلى الله عليه وسلم وعلاماته. / فضل الهي -

الرياض، ١٤٢٧ هـ

١٠٤ ص ؛ ١٧ سم

ردمك : ٣ - ٥٦١ - ٢٩ - ٩٩٦٠

١ - السيرة النبوية أ، العنوان

ديوي ٢٣٩ ١٤٢٧/٥١٢٢

رقم الإيداع : ٥١٢٢ / ١٤٢٧

ردمك : ٣ - ٥٦١ - ٢٩ - ٩٩٦٠

الطبعة الخامسة

١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له. و أشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وحده لاشريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وبارك، وسلم.

أما بعــد:

فإنّه مما يجب على المرء أن يكون النبي الكريم ـ صلوات ربي وسلامه عليه ـ أحبَّ إليه من الخلق كله. ولهذا ثمرات عظيمة في الدنيا والآخرة، لكن كثيراً من مُدّعي حبّه صلى الله عليه وسلم يفـرّطـون فيه، كما أن الكثيرين يحصرون مفهومه في أضيق نطاق.

ورغبـة في تذكـير نفسي وإخـواني، وتبصـيرهم بأهميتـه وثمـراتـه، وحقيقته عزمت ـ بعون الله تعالى ـ على معالجة

المبحث الأول

وجوب حب النبي ﷺ أكثر من كل الخلق

إنّ حبّ النبي الكريم ﷺ من الإيمان. وقد وردت نصوص كثيرة تدل على أنّه يجب على العبد أن يكون الرسول الكريم ﷺ أحبّ إليه من نفسه، ووالده، وولده، وأهله، وماله، والناس أجمعين، وأنّه من لم يكن كذلك فهو يُعرِّض نفسه لعقوبة الله العاجلة أو الآجلة. وفيما يلي أذكر بعض تلك النصوص بشيء من التفصيل.

(أ) وجوب محبته ﷺ أكثر من حب النفس:

روى الإمام البخاري عن عبدالله بن هشام - رضي الله عنه - قال: كنّا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال له عمر - رضي الله عنه -: «يارسول الله! لأنت أحب إليّ من كل شيء إلاّ من نفسي». فقال النبي ﷺ: «لا، والذي نفسي بيده! حتى أكون أحبّ إليك من نفسك».

فقال له عمر: «فإنّه الآن والله! لأنت أحبّ إليّ من نفسي».

فقال النبي ﷺ: «الآن ياعمر»[1].

يقول العلّامة العيني في شرح قوله، ﷺ: «لا، والذي نفسي بيده! حتى أكون أحبّ إليك من نفسك»: لايكمل إيمانك...[2].

كما يقول في شرح قوله ﷺ: «الآن ياعمر»: «يعني كمل إيمانك»[3].

ومما يلاحظ في قوله ﷺ: «لا، والذي نفسي بيده..» أنّه ﷺ أقسم، وهو صادق في كل مايقوله حتى ولو لم يقسم، فما باله ﷺ إذا حلف، والحلف يُفيد تأكيد الكلام[4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ؟ رقم الحديث ٦٦٣٢، ١١/٥٢٣.

(٢) عمدة القاري ٢٣/١٦٩.

(٣) المرجع السابق ٢٣/١٦٩.

(٤) انظر: المرجع السابق ١/١٤٣.

(ب) وجوب محبته ﷺ أكثر من حب الوالد والولد:

رویٰ الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**»[1].

ومما نجد في هذا الحديث الشريف أيضاً أن الصادق المصدوق الناطق بالوحي ﷺ أقسم على ماجاء في الحديث.

وهل تدخل الأم في لفظ «الوالد»؟ يُجيب عن هذا الحافظ ابن حجر بقوله: «إن أُريد به (الوالد) من له الولد فيعم، أو يُقال اكتفى بذكر أحدهما كما يُكتَفى عن أحد الضّدين بالآخر، ويكون ماذكر على سبيل التمثيل والمراد الأعزة، كأنّه قال: «أحبَّ إليه من أعزته»[2].

(ج) وجوب محبته ﷺ أكثر من الأهل والمال والناس أجمعين:

رویٰ الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حبّ الرسول ﷺ من الإيمان، رقم الحديث ١٤، ١/ ٥٨.

(٢) فتح الباري ١/ ٥٩.

رسول الله ﷺ : «**لايؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين**»[1]

(د) التهديد لمن كان شيء من الخلق أحب إليه منه ﷺ :

هدّد الله تعالى بالعقاب من كان أحد من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة، أو شيء من الأموال والتجارة والمساكن أحبّ إليه من الله تعالى، ورسوله ﷺ، وجهاد في سبيله عز وجل. يقول تعالى: ﴿**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين**﴾[2].

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: «أي إن كانت

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة النبي ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبّه هذه المحبّة، رقم الحديث ٦٩، ١/٦٧. ورواه أيضًا الحافظ أبو يعلى في مسنده (انظر: رقم الحديث ٣٨٩٥، ٧/٨).

(٢) سورة التوبة/ الآية: ٢٤

هذه الأشياء ﴿أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا﴾. أي فانتظروا ماذا يحلّ بكم من عقابه ونكاله بكم»[1]

وقال مجاهد والحسن رحمهما الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾: «بعقوبة آجلة أو عاجلة»[2].

ويقول العلامة الزمخشري في تفسير الآية: «وهذه آية شديدة لاترى أشدّ منها»[3].

ويقول الإمام القرطبي: «وفي الآية دليل على وجوب حبّ الله ورسوله ﷺ ولا خلاف في ذلك، وأنّ ذلك مقدّم على كل محبوب»[4].

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير (للرفاعي) ٢/٣٢٤.

(٢) نقلًا عن تفسير القرطبي ٨/٩٥ ـ ٩٦.

(٣) تفسير الكشاف ٢/١٨١

(٤) تفسير القرطبي ٨/٩٥، وانظر أيضًا: أيسر التفاسير للشيخ الجزائري ٢/١٧٧.

المبحث الثاني

ثمرات حب النبي الكريم ﷺ

من نافلة القول استغناء النبي الكريم ﷺ عن حبّنا له. لايزيده وجوده منزلة ورفعةً، ولاينقصه عدمه مكانة وشرفًا. كيف لا وهو حبيب رب العالمين.

وليس هذا فحسب بل من اتّبعه ﷺ أحبّه الله، وغفر له ذنوبه، قال عز من قائل:

﴿قل إنْ كنتم تُحبّون الله فاتبعوني يُحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾[1].

لايستفيد من حبّه عليه الصلاة والسلام إلاّ من أحبّه. فهو يسعد بذلك في الدنيا والآخرة. ولعله من المناسب ذكر هذا بشيء من التفصيل في هذا المقام.

(ا) حبه ﷺ من أسباب الحصول على حلاوة الإيمان:

جعل الله تعالى لنيل حلاوة الإيمان أسبابًا، ومنها: حبّ

---

(١) سورة آل عمران/ الآية: ٣١

النبي ﷺ أكثر من كل الخلق. فقد روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سِواهما، وأن يُحبَّ المرء لايُحبّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقْذَف في النار»[1].

ومعنى حلاوة الإيمان - كما ذكر العلماء رحمهم الله تعالى - استلذاذ الطاعات، وتحمّل المشاق في الدين، وإيثار ذلك على أعراض الدنيا[2].

ومأأشرفها من ثمرة وأكرمها! اللهم لاتحرمنا منها. آمين يارب العالمين.

(ب) مُحبّه ﷺ سيكون معه في الآخرة:

من أحبَّ النبي الكـريم - صلوات ربي وسلامه عليه -

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم الحديث ١٦، ١/ ٦٠. وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب خصال من اتّصف بهنّ وجد حلاوة الإيمان، رقم الحديث ٤٣، ١/ ٦٦. واللفظ للبخاري.

(٢) انظر: شرح النووي ٢/ ١٣، وفتح الباري ١/ ٦١.

فإنَّه سيكون معه في الآخرة.

فقد روىٰ الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «يارسول الله! متى الساعة؟».

قال: «وماأعددت للساعة؟».

قال: «حبُّ اللهُ ورسوله».

قال: «فإنَّك مع من أحببت».

قال أنس رضي الله عنه: «فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشدَّ من قول النبي ﷺ: «فإنَّك مع من أحببت».

قال أنس رضي الله عنه: «فأنا أحبّ الله ورسولَه وأبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فارجو أن أكون معهم، وإنْ لم أعمل بأعمالهم»[1].

وجاء في حديث آخر رواه الشيخان عن عبدالله بن

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، رقم الحديث ٢٦٣٩، ٤/٢٠٣٢ـ٢٠٣٣. وروىٰ نحوه الإمام البخاري. (انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ماجاء في قول الرجل: «ويلك»، رقم الحديث ٦١٦٧، ١٠/٥٥٣).

مسعود رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «يارسول الله! كيف تقول في رجل أحبّ قوماً ولم يلحق بهم؟».

فقال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحبّ»[1].

والمراد بقوله ﷺ: «المرء مع من أحب». أي في الجنة[2].

الله أكبر! ماأجل جزاء من أحبّ النبي الكريم ﷺ وأعظمه!

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله تعالى، رقم الحديث ٦١٦٩، ١٠/٥٥٧. وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحبّ، رقم الحديث ٢٦٤٠، ٤/٢٠٣٤. واللفظ للبخاري.

(٢) انظر: عمدة القاري، ٢٢/١٩٧

المبحث الثالث

علامات حب النبي الكريم ﷺ

تمهيد:

إنّ لحبّ النبي الكريم ﷺ علامات قد تحدّث عنها علماء الأمة. فعلىٰ سبيل المثال يقول القاضي عيّاض: «ومن محبّته نصرة سنّته، والذّبّ عن شريعته، وتمنّي حضور حياته فيبذل نفسه وماله دونه»(1).

ويقول الحافظ ابن حجر: «ومن علامة الحبّ المذكور أن يُعرَض على المرء أنْ لو خُيِّر بين فَقْد غرض من أغراضه أو فقد رؤية النبي ﷺ أنْ لو كانت ممكنة، فإنْ كان فقدها - أن لو كانت ممكنة - أشدّ عليه من فقد شيء من أغراضه فقد اتصف بالأحبية المذكورة، ومن لا فلا. وليس ذلك محصوراً في الوجود والفقد، بل يأتي مثله في نصرة سنته والذب عن شريعته، وقمع مخالفيها. ويدخل فيه باب الأمر بالمعروف

(1) شرح النووي ٢/١٦.

والنهي عنْ المنكر»[1].

ويقـول العلاّمة العيني: «واعلـم أن محبة الرسول عليه السلام إرادة طاعته، وترك مخالفته، وهي من واجبات الإسلام»[2].

ونستنبط مما ذكـره العلماء أنّ من علامـات حبّ النبي الكريم ﷺ مايلي:

١ ـ الحرص على رؤيته وصحبته ﷺ، ويكون فقدهما أشدّ من فقد أيِّ شيء آخر في الدنيا.

٢ ـ استعداد تامّ لبذل النفس والمال دونه ﷺ.

٣ ـ امتثالِ أوامره واجتناب نواهيه ﷺ.

٤ ـ نصر سنّته والذبّ عن الشريعة.

ومن توفّرت فيه تلك العلامات فليحمد الله عز وجل على حبّه للحبيب الكريم ﷺ ويسأله الثّبات عليه. ومن فقدها كلهـا أو بعضهـا فليحـاسب نفسه قبل أن يُحَاسَب في يوم

---

(١) فتح الباري ١/٥٩.

(٢) عمدة القاري ١/١٤٤

لاينفــع فيه مال ولابنــون إلاّ من أتى الله بقلب سليم، ولايخفى على الله فيه منهم شيء، ولايفكّر ولا يحاول خداع الله تعـالى والمؤمنـين، فإنّ السـاعي إلى مخادعـة الله تعالى لايخدع إلى نفسه. ﴿يُخدعون الله والذين آمنوا ومايَخْدَعُون إلاّ أنفسهم ومايشعرون﴾[1].

وسأتحدّث بتوفيق الله تعالى عن تلك العلامات من خلال حبّ الصحابة رضي الله عنهم للحبيب الكريم المصطفى عليه الصلاة والسلام مع الإشارة إلى مانحن عليه، لعلّ الله عز وجل يصلح أحوالنا ويهدينا سبيل الرشاد. وسأخصص مطلبًا مستقلاً للحديث عن كل علامة إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة البقرة/ الآية: ٩

المطلب الأول

العلامة الأولى

الحرص على رؤيته وصحبته ﷺ ويكون فقدهما أشد من فقد أي شيء آخر في الدنيا

من المعروف أنّ غاية مايتمنّاه المرء ويحبّه أن يحظى برؤية وصحبة من أحبّه. وإنّ من أحبّ الحبيب الكريم المصطفىٰ، صلوات ربي وسلامه عليه، فإنه يشتاق إلى رؤيته، ويرغب في صحبته، ويحرص على مرافقته في الدنيا والآخرة، ينتظر إدراك هذه السعادة بشوق واهتمام. ولو قدِّر له الخيار بينها وبين نعيم الدنيا كلها لما آثر عليها غيرها. يفرح حينما يتشرّف بالنظر إلى وجهه الأنور، ويُسرّ حينما يسعد بصحبته ﷺ. ويحزنه خوف حرمان من رؤيته وصحبته، ويبكيه فراقه.

وفيما يلي أستعرض بعض المواقف الرائعة للمحبّين الصادقين للحبيب الكريم ﷺ يتجلّى فيها ماذكر:

١ - بكاء الصديق رضي الله عنه فرحا عند إدراك الصحبة في الهجرة:

روى الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: فبينما نحن يومًا جلوس[١] - في بيت أبي بكر - رضي الله عنه - في نحر الظهيرة[٢]، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنِّعًا»[٣] - في ساعة لم يكن يأتينا فيها -.

فقال أبو بكر: «فداء له أبي وأمي، والله ماجاء به في هذه الساعة إلا أمر».

قالت: «فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له، فدخل. فقال النبي ﷺ لأبي بكر: **«أخرج من عندك»**.

فقال أبو بكر: «إنما هم أهلك بأبي أنت يارسول الله!».

قال: **«فإنّي قد أُذن لي في الخروج»**.

---

(١) (جلوس): أي جالسون (عمدة القاريء ١٧/ ٤٥).

(٢) (في نحر الظهيرة): أي في أول وقت الحرارة وهي المهاجرة. ويقال أول الزوال، وهو أشد مايكون من حرّ النهار. (المرجع السابق ١٧/ ٤٥).

(٣) (متقنِّعًا): أي مغطّيًا رأسه. (المرجع السابق ١٧/ ٤٥).

فقال أبو بكر: «الصحابة[1] بأبي أنت يارسول الله!».

قال رسول الله ﷺ: «نعم»[2].

لم يكن الصدِّيق رضي الله عنه بغافلٍ عمّا حُفَّ به هذا السّفر من المخاوف والمخاطر، لكنها لم تؤثِّر أو تقلِّل من رغبته في صحبة الحبيب الكريم ﷺ فلما أخبره عليه الصلاة والسلام بالموافقة على طلبه بدأ يبكي فرحًا بنيل هذه السعادة.

يقول الحافظ ابن حجر: «زاد ابن إسحاق في روايته: «قالت عائشة رضي الله عنها: «فرأيت أبا بكر يبكي، وماكنت أحسب أنّ أحدًا يبكي من الفرح»[3].

٢ - فرح الأنصار بمقدمه ﷺ إليهم:

سمع الأنصار بهجرة الحبيب الكريم ﷺ إلى ديارهم فاشتاقوا إلى استقباله. وقد حفظت لنا كتب السنة والسيرة

---

(١) (الصحابة): بالنصب أي أريد المصاحبة. (فتح الباري ٧/٢٣٥)

(٢) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، جزء من رقم الحديث ٣٩٠٥، ٧/٢٣١

(٣) فتح الباري ٧/٢٣٥، وانظر: أيضًا السيرة النبوية لابن هشام ٢/٩٣.

مايصوّر لنا شوقهم إلى استقباله وسرورهم بوصوله إليهم.
فعلىٰ سبيل المثال يروي لنا الإمام البخاري عن عروة بن الزبير رضي الله عنه عن كيفية انتظارهم الحبيب الكريم ﷺ بالحرّة حيث جاء في روايته:

«وسمع المسلمون بالمدينة مَخْرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون[1] كل غداة إلى الحرّة فينتظرونه حتى يردّهم حرّ الظهيرة. فانقلبوا يومًا بعد ماأطالوا انتظارهم، فلما أَوَوْا إلى بيوتهم أوفىٰ[2] رجل من يهود على أُطُم[3] من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصُر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيَّضين[4] يزول بهم السّراب[5]. فلم يملك اليهودي أن قال بأعلىٰ صوته:

---

(١) (يغدون): يخرجون غدوة. (فتح الباري ٧/٢٤٣).
(٢) (أوفىٰ): طلع إلى مكان عال أشرف منه. (المرجع السابق ٧/٢٤٣)
(٣) (أُطُم): بضم أوله وثانيه وهو الحصن. (المرجع السابق ٧/٢٤٣).
(٤) (مُبَيَّضين): أي عليهم الثياب البيض. قال ابن التين: «يحتمل أن يكون معناه: مستعجلين». (المرجع السابق ٧/٢٤٣).
(٥) (يزول بهم السراب): أي يزول السراب عن النظر بسبب عروضهم له. وقيل معناه: ظهرت حركتهم للعين. (المرجع السابق ٧/٢٤٣).

يامعاشر العرب! هذا جدّكم[1] الذي تنتظرون».

فثار المسلمون إلى السّلاح. فتلقّوا رسول الله ﷺ بظهر الحرّة فعدَل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف»[2]

الله أكبر! كم كان شوقهم إلى استقبال الحبيب الكريم ﷺ. يخرجون في كل صباح إلى الحرّة منتظرين قدومه ﷺ ويجلسون هناك حتى تشتدّ حرارة الشمس فيعودون إلى بيوتهم.

وفي رواية ابن سعد: «فإذا أحرقتهم الشمس رجعوا إلى منازلهم»[3].

وفي رواية الحاكم: «فينتظرونه حتى يؤذيهم حرّ الظهيرة»[4].

---

(١) (هذا جدكم): بفتح الجيم أي حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعونه. (المرجع السابق ٢٤٣/٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، جزء من رقم الحديث ٣٩٠٦، ٢٣٩/٧.

(٣) الطبقات الكبرى ٢٣٣/١

(٤) المستدرك على الصحيحين، كتاب الهجرة، استقبال الأنصار لرسول الله ﷺ وأصحابه وقت قدوم المدينة، ١١/٣.

ويحدِّثنا الإمام البخاري ـ أيضًا ـ عن كيفية استقباله ﷺ من قبل الأنصار بالمدينة. فقد روي عن أنس رضي الله عنه قال: فنــزل رسـول الله ﷺ جانب الحـرّة، ثم بعث إلى الأنصـار فجاءوا إلىٰ نبي الله ﷺ وأبي بكر فسلّموا عليهما وقالوا: «اركَبا آمنَين مُطَاعَين».

فركب نبيّ الله ﷺ وأبو بكر وحَفُّوا دونهما بالسلاح، فقيل في المدينة:

«جاء نبي الله! جاء نبي الله ﷺ».

فأشرفوا ينظرون ويقولون: «جاء نبي الله ـ ﷺ ـ».

فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب ـ رضي الله عنه ـ[1].

ويحدثنا الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن عدد من استقبل رسول الله ﷺ وأبا بكر الصديق رضي الله عنه كانوا زهـاء خمسـمائـة من الأنصـار حتى انتهـوا إليهـما، فقالت

---

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، جزء من رقم الحديث ٣٩١١، ٧/ ٢٥٠

الأنصار: «انطلقا آمنَين مطاعَين»[1].

كما ينقـل لنا الإمام أحمد ـ أيضًا ـ صورة استقبال أهل المدينة الحبيب الكريم ﷺ على لسان الصديق رضي الله عنه حيث يقول:

«ومضى رسـول الله ﷺ وأنـا معه حتى قدمنا المدينة، فتلقّاه الناس فخرجوا في الطريق وعلى الأجاجير[2]. فاشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون: «الله أكبَر! جاء رسول الله ﷺ، جاء محمد ﷺ».

قال: وتنازع القوم أيهم ينزل عليه...[3]..

---

(١) انـظر الفتـح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، كتاب السيرة النبـوية، باب ماجـاء في قدومـه ﷺ إلى المدينة، جزء من رقم الحديث ١٥٥، ٢٠/٢٩١. ورواه الإمام البخاري في التاريخ الصغير. (انظر فتح البـاري ٧/٢٥٠) وصحّـح الشيخ أحمـد البنـا إسناد رواية الإمام أحمد (انظر: بلوغ الأماني ٢٠/٢٩٢).

(٢) (الأجاجير): جمع إجّار. وهي السطوح. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «أجر»، ١/٢٦).

(٣) المسند، جزء من رقم الحديث ٣، ١/١٥٥. وصحّح الشيخ أحمد محمد شاكر إسناده. (انظر: هامش المسند ١/١٥٤).

ويبيّن أنس بن مالك رضي الله عنه رؤيته لهذا اليوم المبارك بقوله:

«فما رأيت يومًا قطّ أنور ولا أحسن من يوم دخل رسول الله ﷺ، وأبو بكر المدينة»[1].

ويصف البراء بن عازب رضي الله عنهما فرح أهل المدينة بمقدم الحبيب الكريم ﷺ إليهم بقوله:

«فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ»[2].

٣ - تخوف الأنصار من حرمانهم من صحبته ﷺ:

ولما شرّف الله عز وجل الأنصار بصحبة حبيبه الكريم ﷺ في ديارهم كانوا يضِنّون به عليه الصلاة والسلام خوفًا من أن يُحْرَموا من هذه النعمة العظمىٰ، والشرف الجليل. ومما يدلّ

---

(١) رواه الإمام أحمد. انظر: الفتح الرباني لترتيب المسند، كتاب السيرة النبوية، باب ماجاء في قدومه ﷺ إلى المدينة، جزء من رقم الحديث ١٥٢، ٢٠/٢٩٠.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، جزء من رقم الحديث ٣٩٢٥، ٧/٢٦٠.

على ذلك مارواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أقبل رسول الله ﷺ حتى قدِم مكة. فبعث الزبير ـ رضي الله عنه ـ على إحدى المُجَنِّبَتين[1]، وبعث خالدًا ـ رضي الله عنه ـ على المُجَنِّبة الأخرى، وبعث أبا عبيدة ـ رضي الله عنه ـ على الحُسَّر[2]، فأخذوا بطن الوادي[3] ورسول الله ﷺ في مكة.

قال: فنظر فرآني، فقال: «أبو هريرة».

قلت: «لبيك يارسول الله!».

فقال: «لا يأتيني إلاّ أنصاري».

ثم قال: «حتى تُوافوني بالصفا».

قال: «فانطلقنا فما شاء أحد منّا أن يقتل أحدًا إلاّ قتله،

---

(١) (المجنّبتين): هي بضم الميم وفتح الجيم وكسر النون وهما الميمنة والميسرة ويكون القلب بينهما. (شرح النووي ١٢/١٢٦).

(٢) (الحُسَّر): هو بضم الحاء وتشديد السين المهملتين أي الذين لا دروع عليهم (المرجع السابق ١٢/١٢٦ ـ ١٢٧).

(٣) (فأخذوا في بطن الوادي): أي جعلوا طريقهم في بطن الوادي (المرجع السابق ١٢/١٢٧).

وما أحد منهم يوجّه إلينا شيئًا»[1].

قال: «فجاء أبو سفيان فقال: يارسول الله! أبيحت خضراء قريش[2] لاقريش بعد اليوم».

ثم قال: «من دخل دار قريش فهو آمن».

فقالت الأنصار: «أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته».

قال أبو هريرة رضي الله عنه: وجاء الوحي. فلما انقضى الوحي قال رسول الله ﷺ: «يامعشر الأنصار!».

قالوا: «لبيك يارسول الله!».

قال: قلتم: «أما الرجل فأدركته رغبة في قريته».

قالوا: «قد كان ذلك».

قال: «كلّا إنّي عبد الله ورسوله. هاجرت إلى الله وإليكم. والمحيا محياكم والممات مماتكم».

---

(١) (فما شاء... إلينا شيئًا): أي لايدفع أحد عن نفسه. (شرح النووي ١٢/١٢٧).

(٢) (أبيحت خضراء قريش): أي استؤصلت قريش بالقتل وأُفنيت. وخضراؤهم بمعنىٰ جماعتهم. (انظر: المرجع السابق ١٢/١٢٧).

فأقبلوا إليه يبكون، ويقولون: «والله! ماقلنا الذي قلن إلاّ الضِّن بالله وبرسوله».

فقال رسول الله ﷺ: «إنّ الله ورسوله يصدِّقانكم ويعذرانكم»[1].

يقول الإمام النووي في شرح الحديث: «إنهم رأوا رأفة النبي ﷺ بأهل مكة وكفّ القتل عنهم فظنُّوا أنه يرجع إلى سكنىٰ مكة والمقام فيها دائمًا، ويرحل عنهم، ويهجر المدينة، فشقّ ذلـك عليهم، فأوحىٰ الله تعـالى إليه ﷺ فأعلمهم بذلك، وقال لهم مامعناه:

إنِّي هاجرت إلى الله وإلى دياركم لاستيطانها، فلا أتركها ولا أرجع عن هجرتي الواقعة لله تعالى بل أنا ملازم لكم. المحيا محياكم والممات مماتكم: أي لا أحيى إلا عندكم ولا أموت إلاّ عندكم.

فلمّـا قال لهم هذا بكوا واعتذروا، وقالوا: والله ماقلنا كلامنـا السابق إلاّ حرصًا عليك وعلى مصاحبتك ودوامك

---

(١) صحيح مسلم، كتـاب الجهـاد والسـير، باب فتح مكة، جزء من رقم الحديث ١٧٨٠، ٣/١٤٠٥.

عندنا لنستفيد منك، ونتبرك بك، وتهدينا الصراط المستقيم كما قال الله تعالى: ﴿وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾.

وهذا معنى قولهم: «ماقلنا الذي قلنا إلاّ الضِّن بك». أي شحًا بك أن تفارقنا ويختص بك غيرنا.

وكان بكاؤهم فرحًا بما قال لهم وحياء مما خافوا أن يكون بلغه عنهم مما يستحي منه[1].

٤ ـ خشية صحابي من عدم تمكنه من رؤيته ﷺ في الجنة:

ونرى محبًا صادقًا آخر يذكر موته وموت الحبيب الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، فيخشى من عدم تمكّنه من النظر إلى وجهه الكريم في الجنة ـ حتى ولو دخل هو في الجنة ـ لرفعة درجته ﷺ حيث يكون مع النبيّين.

يروي لنا الإمام الطبراني قصته على لسان عائشة الصدّيقة بنت الصديق رضي الله عنهما حيث قالت:

«جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يارسول الله! إنّك لأحبّ إليّ من نفسي، وإنّك لأحبّ إليّ من ولدي، وإني

(١) انظر: شرح النووي ١٢/١٢٨ ـ ١٢٩

لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك. وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفِعْتَ مع النبيّين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك».

فلم يردّ عليه النبي ﷺ حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾[1] [2]

٥ - سؤال ربيعة ﷺ مرافقته ﷺ في الجنة:

وأتيحت فرصة لمحبّ صادق للحبيب الكريم ﷺ وهو

---

(١) سورة النساء/ جزء من الآية: ٦٩

(٢) نقلاً عن مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب التفسير، سورة النساء، ٧/٧.

وقال عنه الحافظ الهيثمي: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن عمران العابدي وهو ثقة». (المرجع السابق ٧/٧).

ورواه أيضًا ابن مردوية وأبو نعيم في الحلية، والضياء المقدسي في «صفة الجنة». وقال: «لاأرى بإسناده بأسًا». (انظر: هامش زاد المسير ٢/١٢٦).

ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه للسؤال، فماذا كان سؤاله؟ يحدثنا الإمام مسلم عن قصته على لسان نفسه - رضي الله عنه - حيث يقول:

«كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سل».

فقلت: «أسألك مرافقتك في الجنة».

قال: «أو غير ذلك؟».

قلت: «هو ذاك».

قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود»[1].

فهكذا المحبّ الصّادق حينما وجد فرصة سؤال لم يتردّد في اختيار مرافقته ﷺ لا في المرة الأولى، ولا في المرة الثانية، ولم يخطر بباله شيء آخر يستبدله بها.

٦ - اختيار الأنصار رسول الله ﷺ على الشاة والبعير:

ولم يكن هذا شأن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه، رقم الحديث ٤٨٩، ١/٣٥٣.

وحده في الاختيار بل هكذا كان المحبّون الصّادقون للحبيب الكريم المصطفى ﷺ. ففي غزوة حنين خُيِّر الأنصار بين مرافقته ﷺ وبين الشّاة والبعير، فرضوا أن يذهب الناس بمتاع الدنيا إلى بيوتهم ويذهبون بالنبي الحبيب الكريم ﷺ إلى رحالهم. تحدثنا كتب السنة والسيرة عن تفصيل هذه القصة. فقد روى الإمام البخاري عن عبدالله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه قال: «لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئًا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ماأصاب الناس، فخطبهم، فقال: «**يامعشر الأنصار! ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألّفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي**».

كلما قال شيئًا قالوا: «الله ورسوله أمن»[1].

قال: «**لو شئتم قلتم**»: «جئتنا كذا وكذا»[2].

---

(١) وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه: فقالوا: «ماذا نجيبك يارسول الله؟ ولله ولرسوله المنّ والفضل: (نقلاً عن فتح الباري ٨/ ٥٠).

(٢) وفي حديث أنس رضي الله عنه عند الإمام أحمد: «أفلا تقولون: «جئتنا خائفًا فآمناك، وطريدًا فآويناك، ومخذولاً فنصرناك؟».

«ألا ترضـــون أن يذهب النـــاس بالشّـاة والبعـير[1]، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟[2]

لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار. ولو سلك الناس واديًا وشِعبًا لسلكت وادي الأنصار وشعبها. الأنصار شِعار والناس دِثار[3] إنّكم ستلقون بعدي أثرة[4] فاصبروا حتى

= فقـالـوا: «بـل المن علينـا لله ولرسوله» (انظر: المرجع السابق ٨/٥١. وصحّح الحافظ ابن حجر إسناده).

(١) (بالشاة والبعير): اسم جنس فيهما، والشاة تقع على الذكر والأنثىٰ وكذا البعير. وفي رواية الزهري: «أن يذهب الناس بالأموال». (المرجع السابق ٨/٥١).

(٢) (رحالكم): أي بيوتكم. (المرجع السابق ٨/٥١).

(٣) (الأنصـار شِعـار والنـاس دثـار): الشِّعار بكسر المعجمة بعدها مهملة خفيفة: الثوب الذي يلي الجلد من الجسد. والدثار: بكسر المهملة ومثلثة خفيفة الذي فوقه. وهي استعارة لطيفة لفرط قربهم منه. وأراد أيضًا أنهم بطانته وخاصته، وأنهم ألصق به وأقرب إليه من غيرهم. (المرجع السابق ٨/٥٢).

(٤) (أثـرة): بضم الهمـزة وسكـون المثلثة، وبفتحتين، ويجوز كسر أوله مع الإسكـان، أي الإنفـراد بالشيء المشـترك دون من يشركه فيه. (المرجع السابق ٨/٥٢).

تلقوني على الحوض»[1]

وزاد في حديث أبي سعيد رضي الله عنه: **«اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار»**.

قال: فبكىٰ القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: «رضينا برسول الله، ﷺ، قسمًا وحظًّا»[2]

يقول الإمام ابن القيم: ولما شرح لهم ﷺ ما خفي عليهم من الحكمة فيما صنع رجعوا مذعنين، ورأوا أن الغنيمة العظمى ماحصل لهم من عود رسول الله ﷺ إلىٰ بلادهم، فسلوا عن الشاة والبعير، والسبايا من الأنثىٰ والصغير، بما حازوه من الفوز العظيم، ومجاورة النبي الكريم ﷺ حيًّا وميتًا»[3]

٧ - رغبة الفاروق ﷺ في أن يدفن بجواره ﷺ:

ونرى محبًا صادقًا آخر - وهو عمر بن الخطاب رضي الله

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، رقم الحديث ٤٣٣٠، ٨/٤٧.

(٢) نقلاً عن فتح البارى ٨/٥٢.

(٣) نقلاً عن المرجع السابق ٨/٤٩

عنه ـ وهو يرتحل من دار الفناء إلى دار البقاء، وأهم مالديه أن يُدفَن بجوار الحبيب الكريم المصطفى ﷺ. يحدّثنا الإمام البخاري عن عمرو بن ميمون أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

«ياعبدالله بن عمر! انطلق إلى عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ فقل: «يقرأ عليكِ عمر السلام ولاتقل «أمير المؤمنين»، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل: «يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدْفَن مع صاحبيه».

فسلّم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال: «يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه».

فقالت: «كنت أريده لنفسي، ولأُوثرنّه به اليوم على نفسي».

فلما أقبل قيل: «هذا عبدالله بن عمر قد جاء».

قال: «ارفعوني».

فأسنده رجل إليه، فقال: «مالديك»؟

قال: «الذي تحبّ ياأمير المؤمنين، أذنت».

قال: «الحمد لله. ماكان من شيءٍ أهم إليّ من ذلك. فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلِّم فقل: «يستأذن عمر بن الخطاب». فإن أذنَتْ لي فأدخلوني، وإن ردّتني رُدُّوني إلى مقابر المسلمين»[1].

٨ - بكاء الصديق ﷺ عند إدراكه اقتراب موعد فراقه ﷺ:

ونجد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه - المحبّ الصّادق للحبيب الكريم ﷺ - استنبط من كلامه ﷺ أن أجله قد اقـترب فلم يتـمالـك نفسه، فبدأ يبكي. يروي لنا الإمام البخاري قصّته على لسان أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حيث قال:

«خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: **«إنّ الله خيّر عبدًا بين الدنيا وبين ماعنده، فاختار ذلك العبد ماعند الله»**.

قال: فبكىٰ أبو بكر - رضي الله عنه - فعجبنا لبُكائه أن

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفيه مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، جزء من رقم الحديث: ٣٧٠٠، ٧/ ٦٠-٦١

يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله ﷺ هو المُخيَّر، وكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ أعلمنا»[1].

وفي رواية أخرىٰ عن معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ: «فلم يلقنها إلاّ أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ، فبكى، فقال: «نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأبنائنا»[2].

٩ـ بكاء الصديق رضي الله عنه عند ذكر الحبيب الكريم ﷺ بعد وفاته:

ونرى الصّدِّيق رضي الله عنه ـ أيضًا ـ يبكي عند ذكر الحبيب الكريم المصطفى ﷺ بعد انتقاله إلىٰ رحمة ربه. ومن الشواهد الدالة على ذلك ماروإه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا بكر الصّدِّيق ـ رضي الله عنه ـ علىٰ هذا المنبر يقول: سمعت رسول الله ﷺ في هذا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «سدّوا الأبواب إلاّ باب أبي بكر». جزء من رقم الحديث ٣٦٥٤، ١٢/٧

(٢) انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب المناقب، باب ماجاء في أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، ٤٢/٩. وقال عنه الحافظ الهيثمي: «إسناده حسن». (المرجع السابق ٤٣/٩).

اليوم من عام الأول، ثم استعبر أبو بكر وبكىٰ.

ثم قال: سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: **«لم تؤتوا شيئًا بعد كلمة الإخلاص مثل العافية فاسألوا الله العافية»**[1]

وفي رواية أخرىٰ: فخنقتْه العبرة ثلاث مرار، ثم قال: الحديث[2]

١٠ - حرص الصديق - رضي الله عنه - على سرعة اللحوق به ﷺ:

ومما يدلّ على هذا مارواه الإمام أحمد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: إن أبا بكر - رضي الله عنه - لما حضرته الوفاة قال: «أيّ يوم هذا؟».

قالوا: «يوم الإثنين».

قال: «فإن مِتّ من ليلتي فلا تنتظروا بي الغد، فإنّ أحبّ الأيّام والليالي إليّ أقربها من رسول الله ﷺ»[3].

---

(١) المسند، رقم الحديث ١٠، ١/١٥٨ - ١٥٩ وصحّح الشيخ أحمد محمد شاكر إسناده. (انظر: هامش المسند ١/١٥٨).

(٢) المرجع السابق، جزء من رقم الحديث ٤٤، ١/١٧٣ وصحّح الشيخ أحمد محمد شاكر إسناده. (انظر: هامش المسند ١/١٧٣).

(٣) المسند، رقم الحديث ٤٥، ١/١٧٣ وصحح الشيخ أحمد محمد شاكر إسناده. (انظر: هامش المسند ١/١٧٣).

الله أكبر! حبّ الأيّام والليالي يُقَدّر من حيث قربها من الحبيب الكريم المصطفىٰ ﷺ.

هكذا كان الصّادقون في محبتهم له ﷺ وفي شوقهم إلى رؤيته، وحرصهم على صحبته، وسرورهم بالنظر إليه، وفرحهم بمرافقته، واختيارهم صحبته على كل شيء، وخشيتهم على فقدانه، وبكائهم على فراقه ﷺ وكيف نحن؟ ألسنا قد أحببنا أشياء أخرى، واستبدلناها بهذه المحبّة؟ يبذل كثيرون منّا ـ رغم ادعائهم حبّ النبي الكريم ﷺ ـ الشيء الكثير من المال والوقت لمشاهدتها أو الاستماع إليها، وتُضيِّع كثير من حقوق الله تعالى وحقوق الناس في سبيل متابعتها. يفرحون برؤيتها، ويحزنون ويتأسفون إذا فاتهم شيء يسير منها. إنّهم قد نسوا أو تناسوا أن بعض ماأحبّوه سيكون سبب خسف، وجعل بعض محبِّيه قردة وخنازير كما أخبر بذلك الذي ماينطق عن الهوى ﷺ. فقد روىٰ الإمام ابن ماجة عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليشربنَّ ناس من أمتي الخمر، يسمّونها بغير اسمها، يُعزَف على رؤوسهم

بالمعازف[1]، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير»[2]

وإذا كنا كذلك فهل يُصدَّق قولنا: «إنّ النبي ﷺ أحبّ إلينا من جميع الناس، ومن جميع الأشياء». أو ينفعنا ذلك عند الله الذي يعلم الغيب والشهادة؟

---

(١) (يُعزَف على رؤوسهم بالمعازف): العَزْف: اللعب بالمعازِف، وهي الدفوف وغيرها مما يُضرَب. (لسان العرب المحيط، مادة «عزف»، ٢/٧٦٦).

(٢) صحيح سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب العقوبات، رقم الحديث ٣٢٤٧، ٢/٣٧١.

المطلب الثاني
العلامـة الثانيـة
بذل النفس والمال دون الحبيب الكريم ﷺ

يترقّب محبّ صادق بكل شوق وحماس فرصة يتمكّن فيها من بذل راحتـه، ونفسـه، ومـاملكت يمينـه دون حبيبه. والمحبّون الصّادقون للنبي الحبيب الكريم ﷺ من الصحابة قد سجّلوا أروع أمثلة الفداء والتضحية دونه ﷺ والذين جاءوا من بعدهم من محبّيه ﷺ يجدون في صدورهم حسرة لاتوصف لفواتهم تلك السعادة العظمى والأمنية الغالية.

وفيما يلي أذكر بعض تلك المواقف المشرّفة: مواقف الفداء والتضحية، مواقف الحبّ والـولاء، مواقف الإيمان والإخلاص، مواقف أولئك الأبرار الذين صدقوا في حبّهم لحبيبهم، حبيب رب العالمين ﷺ.

١ـ بكاء الصديق ؓ خوفا على الرسول الكريم ﷺ:

يدرك سراقة بن مالك رسول الله ﷺ وأبا بكر الصديق

رضي الله عنه أثناء سفر الهجرة. وحين يقترب منهما يضطرب الصدِّيق رضي الله عنه ويبكي لا خوفًا على نفسه بل خوفًا على الحبيب الكريم المصطفى ﷺ. يحدِّثنا الإمام أحمد عن هذه القصة عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر - رضي الله عنه -:

«فارتحلنا والقوم يطلبونا، فلم يدركنا إلا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له. فقلت: «يارسول الله! هذا الطلب قد لحقنا».

فقال: «لاتحزن إنّ الله معنا».

حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة، قال: قلت: «يارسول الله! هذا الطلب قد لحقنا».

وبكيت.

قال: «لِـمَ تبكي؟».

قلت: «أَما والله! ماعلى نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك».

قال: فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «اللهم اكفناه بما شئت».

فساخت[1] قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلْد.
الحديث[2].

٢ ـ استعداد المقداد بن الأسود رضي الله عنه للوقوف معه ﷺ في المعركة:

ونرى محبًّا صادقًا آخر يُبدي استعدادُه التامّ للوقوف مع الحبيب الكريم المصطفىٰ صلوات ربي وسلامه عليه في المعركة. يحدثنا الإمام البخاري عن قصته برواية عبدالله بن مسعود رضي الله عنه حيث يقول: «شهدت من المقداد بن الأسود ـ رضي الله عنه ـ مشهدًا لأن أكون صاحِبَه أحبُّ إليّ مما عُدِل به[3]: أتىٰ النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: «لانقول كما قال قوم موسى ـ عليه السلام ـ ﴿اذهب

(١) (فساخت): أي غَاصَت في الأرض. (النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «سوخ»، ٢/ ٤١٦).
(٢) المسند، جزء من رقم الحديث ٣، ١/ ١٥٥ وصححَ الشيخ أحمد محمد شاكر إسناده. (انظر: هامش المسند ١/ ١٥٤).
(٣) (مما عُدِل به): أي وُزِن، أي من كل شيء يقابل ذلك من الدنيويات. (فتح الباري ٧/ ٢٨٧).

أنت وربك فقاتلا﴾، ولكنّا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك».

فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسرّه، يعني قوله[1].

ومما نجده في هذه الرواية إلى جانب استعداد المقداد رضي الله عنه للفداء والتضحية دون الحبيب الكريم المصطفىٰ ﷺ، رغبة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في أن يكون هو صاحب هذا الموقف المشرّف. وهذا يتجلّى في قوله:

«شهدت من المقداد بن الأسود ـ رضي الله عنه ـ مشهدًا لأن أكون صاحِبَه أحبُّ إليّ مما عُدِل به».

ويقول الحافظ ابن حجر في شرحه: «إنّه كان لو خُيِّر بين أن يكون صاحبه وبين أن يحصل له مايقابل ذلك كائنًا ماكان لكان حصوله له أحبّ إليه»[2].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم..﴾. إلى قوله تعالى: ﴿ومن يُشاقق الله ورسوله فإنّ الله شديدُ العقاب﴾، رقم الحديث ٣٩٥٢، ٧/٢٨٧

(٢) فتح الباري ٧/٢٨٧.

٣ ـ فداء أحد عشر رجلا من الأنصار وطلحة رضي الله عنهم دونه ﷺ:

يحدُثُ خطأ من بعض الرماة في معركة أُحد، فيتركون أماكنهم، فيأتي مجموعة من جيش قريش مكة تحت قيادة خالد بن الوليد من خلف المسلمين، فيحصل خلل واضطراب في الصفوف الإسلامية حتى لم يبق في وقت من الأوقات مع الرسول الكريم ﷺ إلاّ اثنا عشر رجلاً، وقد أدرك المشركون النبي الكريم ﷺ وهؤلاء الاثنى عشر. فماذا فعل أولئك الأبرار المحبّون الصّادقون للدفاع عن حبيبهم ﷺ؟ فلنقرأ مارواه الإمام النسائي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما حيث قال:

«لـمّا كان يوم أحد وولّى الناس كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً من الأنصار وفيهم طلحة بن عبيدالله ـ رضي الله عنهم ـ فأدركهم المشركون. فالتفت رسول الله ﷺ وقال: «من للقوم؟».

فقال طلحة: «أنا».

قال رسول الله ﷺ: «كما أنت».

فقال رجل من الأنصار: «أنا يارسول الله».

فقال: «أنت».

فقاتل حتى قُتِل. ثم التفت فإذا المشركون فقال: «من للقوم؟».

فقال طلحة: «أنا».

قال: «كما أنت».

فقال رجل من الأنصار: «أنا».

فقال: «أنت».

فقاتل حتى قُتِل.

ثم لم يزل يقول ذلك، ويخرج لهم رجل من الأنصار، فيقاتل قتال من قبله حتى يُقتَل، حتى بقي رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيدالله ـ رضي الله عنه ـ. فقال رسول الله ﷺ: «من للقوم؟».

فقال طلحة: «أنا».

فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى ضُرِبتْ يده فَقُطِعت أصابعه، فقال: «حس».

فقال رسول الله، ﷺ: «لو قلت بسم الله لرفعتك

الملائكة، والناس ينظرون».

ثم ردّ الله المشركين»[1].

الله أكبر! يفدي أحد عشر محبًا أرواحهم دون حبيبهم حبيب رب العالمين ﷺ، والثاني عشر ـ وهو طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه وعنهم جميعًا ـ لم يكن دفاعه عنه ﷺ بأمر هين، فقد قاتل قتال الأحد عشر، وشُلَّت يده حيث كان يقي بها رسول الله ﷺ. فقد روى الإمام البخاري عن قيس قال: «رأيت يد طلحة ـ رضي الله عنه ـ شلّاء[2] وقى بها النبي ﷺ يوم أحد»[3].

---

(١) صحيح سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب مايقول من يطعنه العدو، رقم الحديث ٢٩٥١، ٢/٦٦١. وقال الشيخ الألباني: «حسن من قوله: «فقطعت أصابعه». وماقبله يحتمل التحسين، وهو على شرط مسلم». (المرجع السابق ٢/٦٦١)، وقال عنه الحافظ الذهبي: «رواته ثقات». (سير أعلام النبلاء ١/٢٧).

(٢) (شلاء): بفتح المعجمة وتشديد اللام مع المد أي أصابها شلل، وهو مايبطل عمل الأصابع أو بعضها. (فتح الباري ٧/٣٦١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ﴿إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا... الآية﴾. رقم الحديث ٤٠٦٣، ٧/٣٥٩.

وربِّ محمد ﷺ! ماأسعد هذه اليد وأزكاها التي شُلَّت دفاعًا عن أحبِّ خلق الله تعالى وأقدسه ﷺ! وماأسعد صاحبها!

ولم تكن يده قد تأثَّرتْ وشُلَّت أثناء الدفاع عن الحبيب الكريم ﷺ فحسب، بل جُرِح جسده كله حيث كانت به حوالي سبعين جرحة. فقد روىٰ الإمام أبو داود الطيالسي عن عائشة عن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنهما قال: «ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار[1] فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة ورمية وضربة»[2].

وقد كان أبو بكر الصدِّيق ـ رضي الله عنه ـ إذا ذكر يوم أحد بكىٰ، ثم قال: «ذلك كله يوم طلحة»[3] ـ رضي الله

---

(١) (الجفار): هي جمع جُفْرة بالضم: وهي حفرة في الأرض: (النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «جفر»، ١/٢٧٨).

(٢) منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود، كتاب السيرة النبوية، باب ماجاء في غزوة أحد، جزء من رقم الرواية ٢٣٤٦، ٢/٩٩. وانظر: أيضًا: فتح الباري ٧/٨٢ ـ ٨٣.

(٣) انظر: منحة المعبود ٢/٩٩.

عنـه وعن الصـدِّيق وعن كل المحبـين الصادقين للحبيب الكريـم ﷺ.

٤ ـ تقديم أبي طلحة ﷺ نحره دون نحره ﷺ:

ونـرى محبًا صادقًا آخر يجعل صدره دون صدر الحبيب الكريـم ﷺ حتى إذا جاء سهم العدو يصيبه بدل إصابته نحره ﷺ، وقد كان ذلك ـ أيضًا ـ في معركة أحد. فقد روى الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

«لـمّا كان يوم أحد انهزم ناس من الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة رضي الله عنه بين يدي النبي ﷺ مجوِّب عليه بحجفة»[١].

قال: «وكـان أبـو طلحـة ـ رضي الله عنه ـ رجلاً رامياً شديد النزع[٢]، وكسر يومئذٍ قوسين أو ثلاثًا»[٣].

---

(١) (مجوِّب عليه بحجفة): أي مترِّس عنه ليقيه سلاح الكفار. (شرح النووي ١٢/ ١٨٩).

والحَجَفَة: بفتح الحاء المهملة وفتح الجيم والفاء أيضاً، وهي الترس إذا كان من جلد ليس فيها خشب. (عمدة القاريء ١٦/ ٢٧٣).

(٢) (شديد النزع): بفتح النون والزاي الساكنة ثم المهملة أي رمي السهم. (فتح الباري ٧/ ٣٦٢).

(٣) (كسر يومئذ قوسين أو ثلاثًا) من شدة الرمي. (المرجع السابق ٧/ ٣٦٢).

قال: «وكان الرجل يمرّ معه الجُعْبة[1] من النبل فيقول: «انثرها لأبي طلحة».

قال: «ويشرف نبي الله ﷺ ينـظر إلى القـوم فيقـول أبـو طلحـة رضي الله عنـه: «يانبي الله: بأبي أنت وأمي! لاتشرف. لايصبك سهم من سهام القوم. نحري دون نحرك»[2].

الله أكبر! ماذا يفعل المحبّ؟ وماذا يتمناه ويريده؟

يقـول العلاّمة العيني في شرح قوله ـ رضي الله عنه ـ: «نحري دون نحرك»: هذا نحري قدام نحرك، يعني أقف بين يديك بحيث إن السـهـم إذا جاء يصيب نحـري ولايصيب نحرك»[3].

---

(1) (الجُعْبة): بضم الجيم وسكون العين المهملة بعدها موحدة: هي الآلة التي يوضع فيها السهام. (المرجع السابق ٧/٣٦٢).

(2) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ﴿إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا، الآية﴾، رقم الحديث ٤٠٦٤، ٧/٣٦١. وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال، رقم الحديث ١٨١١، ٣/١٤٤٣، واللفظ لمسلم.

(3) عمدة القاري، ١٦/٢٧٤.

ويقول الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي : «الجملة دعائية. أي جعل الله نحري أقرب إلى السهام من نحرك لأصاب بها دونك»[1].

٥ - تترس أبي دجانة ﷺ دون رسول الله ﷺ بنفسه:

يروي لنا الإمام ابن إسحاق عن محبٍّ صادق آخر بقوله:

«وترّس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه، ويقع النبل في ظهره، وهو منحن عليه، حتى كثر فيه النبل»[2].

وفي رواية أخرىٰ: «وهو لايتحرّك»[3].

الله أكبر! ماالذي جعل أبا دجانة رضي الله عنه يترس دون الرسول الكريم ﷺ بنفسه، ينحني عليه، ويصبر على النبل الذي يقع في ظهره، ولايتحرك؟ إنّه حبّ صادق للحبيب الكريم المصطفى عليه الصلاة والسلام إنّه حرص شديد على بذل نفسه فداء نفس الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه.

---

(١) هامش صحيح مسلم ١٤٤٣/٣

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٣٠، وانظر أيضاً: السيرة النبوية لابن حبان البستي ص٢٢٤، وتاريخ الإسلام (المغازي) للذهبي ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٣) جوامع السيرة لابن حزم ص١٦٢، وانظر أيضاً: زاد المعاد ١٩٧/٣

٦ ـ موت أحد من الأنصار فداء الحبيب الكريم ﷺ وخده على قدمه ﷺ:

تُحدِّثنا كتب السيرة والتاريخ عن موت أحد المحبِّين الصّادقين للحبيب الكريم ﷺ يبذل نفسه دفاعاً وفداء دونه ﷺ، ويأتي وقت ارتحاله من هذه الدنيا وخده على قدم الحبيب الكريم ﷺ وكان ذلك ـ أيضاً ـ في غزوة أحد.

قال الإمام ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ حين غشيه القوم: «**مَنْ رجل يشتري لنا نفسه؟**».

فقام زياد بن السكن رضي الله عنه في نفر خمسة من الأنصار.

وبعض الناس يقولون: إنَّما هو عمارة بن يزيد بن السكن.

فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً ثم رجلاً، يُقْتَلون دونه حتى كان آخرهم زياد أو عمارة، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت فئة من المسلمين، فأجهضوهم عنه[١]، فقال رسول الله ﷺ: «**أدنوه مني**».

---

(١) (فأجهضوهم عنه): أي نَحّوهم وأزالوهم عنه. (انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «جهض»، ١/٣٢٢).

فأدنوه منه فوسده قدمه.

فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ[1].

الله أكبر! ماأطيب هذا الموت وأحلاه!

٧ ـ اهتمام سعد بن الربيع رضي الله عنه بسلامته ﷺ وهو في آخر رمق:

ونشاهد محبًا صادقًا آخر وهو من جرحى معركة أحد، وبه سبعون ضربة، مابين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم. لم يبق بينه وبين هذه الدنيا ومافيها من أهل ومال ومتاع إلاّ لحظات، ففيما كان يفكِّر؟ وماذا كان يشغل باله؟ فلنقرأ مارواه الإمام الحاكم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع رضي الله عنه وقال لي: «إن رأيته فاقرئه منّي السلام، وقل له: «يقول لك رسول الله ﷺ: كيف تجدك؟».

قال: «فجعلت أطوف بين القتلىٰ فأصبته وهو في آخر رمق، وبه سبعون ضربة: مابين طعنة برمح، وضربة

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣/٢٩، وانظر أيضًا: السيرة النبوية لابن حبان البستي ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤، وتاريخ الإسلام (المغازي) للذهبي ص١٧٤

بسيف، ورمية بسهم، فقلت له: «ياسعد! إنّ رسول الله، ﷺ، يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «خبرني كيف تجدك؟»».

قال: «على رسول الله السلام، وعليك السلام، قل له: «أجدني أجد ريح الجنّة»، وقل لقومي الأنصار: «لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شُفْر[1] يطرف»».

قال: «وفاضت نفسه. رحمه الله»[2].

---

(١) (شُفْر): بالضم وقد يُفْتَح: حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر. (النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «شفر»، ٢/٤٨٤).

(٢) المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب سعد بن الربيع رضي الله عنه، ٣/٢٠١، وقال عنه الإمام الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». (المرجع السابق ٣/٢٠١). ووافقه الحافظ الذهبي. (انظر: التلخيص ٣/٢٠١).

وروى نحوه الإمام مالك في الموطأ (٢/٤٦٥ ـ ٤٦٦) والإمام ابن اسحاق (انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٣/٣٨ ـ ٣٩). وقال عنه الدكتور أكرم ضياء العمري: «من رواية ابن إسحاق بإسناد رجاله ثقات (مجمع البحرين ٢/٢٣٩، وشرح المواهب ٢/٤٤). (السيرة النبوية الصحيحة ٢/٣٨٦).

ففيم فكّر هذا المحبّ الصّادق في آخر لحظات حياته؟ وماذا شغل باله؟ وبماذا أوصى قومه وهو يودّعهم، مرتحلاً عن هذه الدنيا، ومافيها من أهل وأولاد ومتاع؟

الأمـر الـذي شغل بالهٍ هو سلامة حبيبه، حبيب ربّ العالمين ﷺ، والوصية التي أوصى بها قومه: هي أن يبذل كل واحد منهم نفسه فداءً للرسول الكريـم ﷺ.

أنحن كذلـك؟ فيم نفكر نحن؟ وماذا يشغل بال كثير منّا؟ وبما يوصي بعضنا أصحابه عند توديعهم إلى الغرب أو الشرق؟ قد يكــون الـتصريح به فقط غير لائق بشخص ينتمي إلى الإسلام.

٨ - سير أبي قتادة ﷺ ليلته معه ﷺ لحفظه من السقوط عن دابته:

وأختم حديثي عن العلامة الثانية لحبّ النبي الكريم ﷺ بذكر قصة محبّ صادق آخر، كان يهتم براحة رسول الله ﷺ وسلامته، فسار معه ليلته كي يحفظه من سقوط عن دابته عند ميله عنها بسبب غلبة النعاس عليه. فقد روىٰ الإمام مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ

فقال: «إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم وتأتون الماء إن شاء الله غداً».

فانطلق الناس لايلوي أحد على أحد[1].

قال أبو قتادة: «فبينما رسول الله ﷺ يسير حتى ابهارّ الليل[2] وأنا إلى جنبه».

قال: «فنعس رسول الله ﷺ فمال عن راحلته فأتيته فدعمته[3] من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته».

قال: «ثم سار حتى تهوّر الليل[4] مال عن راحلته».

قال: «فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته».

قال: «ثم سار حتى إذا كان من آخر السَّحَر مال ميلة

---

(١) (لايلوي أحد على أحد): أي لايعطف. (شرح النووي ٥/١٨٤).

(٢) (إبهارّ الليل): هو بالباء الموحدة وتشديد الراء أي انتصف. (المرجع السابق ٥/١٨٤).

(٣) (فدعمته): أي أقمت ميله من النوم، وصرت تحته كالدعامة للبناء فوقها. (المرجع السابق ٥/١٨٥).

(٤) (تهوّر الليل): أي ذهب أكثره مأخوذ من تهور البناء وهو انهدامه، يقال: تهور الليل وتوهر. (المرجع السابق ٥/١٨٥).

هي أشـدّ من الميلتـين الأوليَينْ حتى كاد ينجفـل[1]. فأتيتـه فدعمته. فرفع رأسه فقال: «من هذا»؟

قلت: «أبو قتادة».

قال: «متى كان هذا مسيرك مني؟».

قلت: «مازال هذا مسيري منذ الليلة».

قال: «حفظك الله بما حفظت به نبيه[2]»[3]

سبحان الله! كم كان أبو قتادة رضي الله عنه حريصًا على سلامته ﷺ وراحته في آن واحد. سار معه ليلته يراقبه سعيًا على حفـظه. وكلما مال عليه الصلاة والسلام بسبب غلبة النعاس عن راحلته كان يصير تحته كالدعامة للبناء فوقها، لكنـه مع هذا لم يجعله يستيقظ حرصًا منه على راحته ﷺ رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) (ينجفل): أي يسقط. (شرح النووي ٥/١٨٥).

(٢) (حفظك الله بما حفظت به نبيّه): أي بسبب حفظك نبيّه (المرجع السابق ٥/١٨٥).

(٣) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة، واستحباب تعجيل قضائها، جزء من رقم الحديث ٦٨١، ١/٤٧٢.

المطلب الثالث

العلامـة الثالثـة

امتثال أوامره واجتناب نواهيه ﷺ

لايختلف اثنان في أن المحبّ لمن يُحبّ مطيعٌ. إنّه يسعى إلى فعل مايحبّه حبيبه، واجتناب مايبغضه، ويجد في ذلك حلاوة ولذّة لاتُوصَفَان. وكذلك من أحبّ الحبيب الكريم المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكىٰ التسليم يحرص أشدّ الحرص على اتّباعه، ويسارع إلى تنفيذ أوامره، ويبادر إلى اجتنـاب نواهيه. وكم من مواقف رائعـة لأصحـابه البررة المحبّين الصّادقين له ﷺ تؤكّد هذا. وفيما يلي أذكر بعضًا منها بفضل الله تعالى:

١ ـ مسـارعـة قوم من الأنصـار إلى توليـة وجوههم نحو الكعبة وهم ركوع:

روىٰ الإمام البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: «لما قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة صلّى نحو بيت المقدِس ستة عشر

او سبعة عشر شهرًا، وكان يحبّ أنْ يُوَجَّه إلى الكعبة، فأنزلَ الله تعالى: ﴿قد نَرىٰ تقلّبَ وجهك في السماء فلنولّينّك قبلة ترضاها﴾. فوُجِّه نحو الكعبة، وصلّى معه رجل العصر، ثم خرج فمرّ على قوم من الأنصار فقال: «هو يشهد أنه صلّى مع النبي ﷺ وأنّه قد وُجِّه إلى الكعبة».

فانحرفوا وهم ركوع في صلاة العصر»[1].

ماأسرعهم تأسيًا بالرسول الحبيب الكريم، صلوات ربي وسلامه عليه! سمعوا خبرًا عنه ﷺ فلم يتردّدوا في التمسّك به، بل لم ينتظروا رفع رؤوسهم من الركوع، وبادروا بالتوجه إلى حيث توجّه الحبيب الكريم ﷺ - إلى الكعبة المشرّفة - وهم ركوع.

٢ - مبادرة الصحابة رضي الله عنهم **إلى تنفيذ أمره ﷺ بانضمام بعضهم إلى بعض عند النزول في سفر:**

ولم تكن المسارعة إلى اتّباع الحبيب الكريم المصطفى ﷺ في مجال الصلاة فحسب، بل هكذا كان المحبُّون الصّادقون

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أخبار الآحاد، باب ماجاء في إجازة خبر الواحد الصدوق. ، رقم الحديث ٧٢٥٢، ١٣/ ٢٣٢

رضي الله عنهم في اتّباعهم له ﷺ في مجالات أخرى. يحدّ
الإمـام أبو داود عن مسارعتهم إلى تنفيذ أمره ﷺ المتعلّ
بآداب النزول في السّفر عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله ع
حيث قال:

«كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرّقوا في الشّعاب والأودية
فقال رسول الله ﷺ: «إنّ تفرّقكم في هذه الشّعاب والأود
إنما ذلكم من الشيطان».

فلم ينزل بعد ذلك منزلاً إلا انضم بعضهم إلى بعض
حتى يقال: «لو بسط عليهم ثوب لعمّهم»[1].

٣ ـ إكفاء الصحابة القدور وهي تفور باللحم عند استماعهم النداء بتحريم لحوم الحمر الأهلية:

نهي الصحابة رضي الله عنهم عن أشياء هوتها أنفسهم

---

(١) صحيح سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب مايؤمر من انضمام العسكر
رقم الحديث ٢٢٨٨، ٢/٤٩٨.

لم يتحمّل الرسول الكريم ﷺ تفرّق المسلمين أثناء النزول في سفر، ،
بالهم تفرّقوا اليوم في كل شيء إلاّ من رحم الله تعالى. وإلى الله المشتكى
وهو المستعان.

ورغبوا فيها، فلم يكن منهم بعد نهي حبيبهم الكريم ﷺ عنها إلّا المسارعة إلى الابتعاد عنها. ومن ذلك مارواه الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ جاءه جاءٍ فقال: «أُكلت الحُمُر».

فسكت. ثم أتاه الثانية فقال: «أُكلت الحُمُر».

فسكت. ثم أتاه الثالثة فقال: «أُفنيت الحُمُر».

فأمر مناديًا فنادى في الناس: «إنّ الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية».

فأُكفِئَتِ القدور وإنّها لتفور باللحم[1].

لم يفكر أولئك الأبرار - المحبّون الصّادقون للحبيب الكريم ﷺ - في التحايل أو البحث عن فرصة أو استثناء. وكيف يمكن ذلك وقد كانوا يُدركون تمام الإدراك أنّ من الأمور الأساسية في الحبّ أن يكون هوى المحبّ تابعًا لأمر الحبيب.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، رقم الحديث ٤١٩٩، ٧/٤٦٧ - ٤٦٨.

٤ - جري الخمر في سكك المدينة عند إعلان تحريمها

لم يكن ابتعاد أولئك الأبرار المحبّين الصّادقين للحبيب الكـريم ﷺ عنـد النهي عما رغبوا فيه فحسب، بل تركوا أشياء كانوا قد تعوّدوا عليها منذ سنوات، بل كانوا قد ورثوها عن آبـائهم. لم يحتجـوا لعصيان الـرسول الكريم ﷺ بـ «العادة» و «التعوّد» كما يفعله كثير من مسلمي زماننا. ومن الشواهد الدالة على ذلك ماروواه الإمام البخاري عن أنس رضي الله عنه قال:

«كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة - رضي الله عنه -، وكان خمرهم يومئذ الفضيح، فأمر رسول الله ﷺ مناديًا ينادي: «ألا إنّ الخمر قد حرّمت».

قال: فقال لي أبو طلحة: «اخرج فاهرقها».

فخرجت فهرقتها. فجرت في سكك المدينة»[1].

فلم يكن هناك من المحبّين الصّادقين - رضي الله عنهم - إلّا إراقة الخمر تنفيذًا لأمر رسول الله ﷺ، ولذا جرت في

---

(١) صحيح البخـاري، كتـاب المظالم، باب صبّ الخمر في الطريق، رقم الحديث ٢٤٦٤، ٥/١١٢

سكك المدينة وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر: «وفيه إشارة إلى توارد من كانت عنده من المسلمين على إراقتها حتى جرت في الأزقة من كثرتها»[1].

وتم هذا كله من غير قيل وقال، وتردّد واستفسار، فقد روى الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «فإني لقائم أسقي أبا طلحة وفلانًا وفلانًا إذ جاء رجل فقال: «وهل بلغكم الخبر؟».

فقالوا: «وماذاك؟».

قال: «حرّمت الخمر».

قالوا: «أهرق هذه القلال ياأنس».

قال: «فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل»[2]

ياله من استسلام مطلق، وانقياد كامل!

وعلى هؤلاء الصّادقين ينطبق قول الله عز وجل: ﴿إنّما

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٣٩

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان﴾، جزء من رقم الحديث ٤٦١٧، ٨/ ٢٧٧

كان قول المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾[1].

٥ ـ مراعاة الصحابة عهدهم مع العدو تنفيذا للأمر النبوي الكريم:

ولم يكن اتباع الصحابة رضي الله عنهم الرسول الكريم ﷺ في الأحوال العادية بل كانوا كذلك في السرّاء والضرّاء وحين البأس، وفي كل وقت من الأوقات، وفي كل شأن من شئون الحياة. فعن مراعاتهم عهدهم مع العدو تنفيذاً لأمر النبي الكريم ﷺ يحدثنا الإمام أبو داود والإمام الترمذي عن سُليم بن عامر قال:

«كان بين معاوية ـ رضي الله عنه ـ وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم، حتى إذا انقضى العهد غزاهم. فجاء رجل على فرس أو بِرْذَوْن[2] وهو يقول: «الله أكبر! الله أكبر! وفاء لاغدر».

فنظروا فإذا عمرو بن عبسة ـ رضي الله عنه ـ. فأرسل

(١) سورة النور/ الآية ٥١.

(٢) (برْذَوْن): دابة (الصحاح للجوهري، مادة «برذن»، ٥/٢٠٧٨).

إليه معاوية ـ رضي الله عنه ـ فسأله. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشُدُّ عقدة ولا يحُلُّها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء**».

فرجع معاوية رضي الله عنه»[1].

٦ ـ امتناع الصحابة من استخدام الحرير تمسكا بأمر الرسول الكريم ﷺ:

فقد روى الإمام الطبري أنه: «لـمّا نزلت جنود المسلمين اليرموك، بعث إليهم المسلمون: «إنّا نريد كلام أميركم وملاقاته، فدعونا نأته ونكلمه».

فأبلغوه فأذن لهم.

فأتاه أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان كالرسول، والحارث بن هشام، وضرار بن الأزور، وأبو جندل بن سهيل ـ رضي

---

(١) صحيح سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه، رقم الحديث ٢٣٩٧، ٥٢٨/٢. وصحيح سنن الترمذي، أبواب السير، باب ماجاء في الغدر، رقم الحديث ١٢٨٥، ١١٣/٢ ـ ١١٤ واللفظ لأبي داود.

الله عنهم ـ، ومع أخي الملك[1] يومئذ ثلاثون رواقًا في عسكره، وثلاثون سرادقًا، كلها من ديباج.

فلما انتهوا إليها أبوا أن يدخلوا عليه فيها، وقالوا: «لانستحل الحرير فابرز لنا».

فبرز إلى فرش ممهّدة وبلغ ذلك هِرَقْل، فقال: «ألم أقل لكم! هذا أول الذلّ. أما الشام فلا شام، وويل للروم من المولود المشؤوم»[2].

وفي رواية: قال الصحابة: «لانستحل دخولها».

فأمر لهم بفرش بسط من حرير.

فقالوا: «ولا نجلس على هذه».

فجلس معهم حيث أحبّوا»[3].

لم تصرف مواجهة الأعداء أولئك الأبرار عن اتباع الحبيب الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، سواءً أكان في

---

(١) (أخي الملك): هو كان أمير الجيش الرومي، وكان اسمه تذارق. (انظر البداية والنهاية ٧/٩).

(٢) تاريخ الطبري ٣/٤٠٣.

(٣) البداية والنهاية ٧/٩ ـ ١٠

ذلك ـ في باديء ذي بدء ـ نفع للأعداء ـ كما كان في الشاهد السابق ـ أو لهم، وسواء أكان هذا في نظر بعض ضعاف النفوس وقليلي العقل والإيمان من الأمور اليسيرة أو كان من الأمور الكبيرة. وكيف لهم العدول عن اتباعه ﷺ وكانوا قد سمعوا الرسول الكريم ﷺ يقول:

«وجعل الذّلة والصَّغار على من خالف أمري»[1]

ولم يكونوا قد سمعوا هذا فحسب، بل حفظوه ووعوه ورعوه حق رعايته، وطبّقوه في حياتهم. وياليت مسلمي زماننا أدركوا هذه الحقيقة! ربط الله تعالى نصر المسلمين وخذلانهم بأمور: من أهمها: اتّباع نبيه الكريم ﷺ وعصيانه. فمن أطاعه فله العزّ والتمكين، ومن عصاه فعليه الذّلة والصّغار.

ولعلّ إدراك المسلمين هذه الحقيقة ومراعاتها في حياتهم يخرجهم عما هم فيه من الهوان والضياع.

---

(١) روى الحديث الإمام أحمد عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما (انظر: المسند، رقم الحديث ٥١١٥، ١٢٢/٧). وصحّح الشيخ أحمد محمد شاكر إسناده. (انظر: هامش المسند ١٢٢/٧).

٧ ـ مبادرة الصحابة إلى خلع نعالهم في الصلاة حينما رأوا النبي الكريم ﷺ يخلع نعليه:

لايقتصر محبّ على تنفيذ أوامر حبيبه، بل يراقب بشوق حركـاته وسكناته، ويلاحظ بدقة تغيرات وجهه وإشارات عيونـه لعلّه يجد فيها شيئاً يحبّه حبيبه فيفعله، أويعرف ما يبغضه حبيبه فيبتعد عنه.

وهكـذا كان أولئك الأبرار المحبّون الصّادقون للحبيب المصطفى ﷺ. لم يقفوا عند امتثال أمره واجتناب نواهيه، بل كانـوا يتـابعون أفعاله، ويلاحظون تصرفاته بحبّ وتقدير وشوق حرصًا على الاقتداء به، فإذا وجدوه ﷺ يفعل شيئًا سارعـوا إلى فعله، وإذا رأوه ابتعد أو ترك شيئًا بادروا إلى الابتعاد عنه.

ومن الشواهد الرائعة الدّالة على ذلك مارواه الإمام أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله ﷺ يُصلّي بأصحابه، إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره. فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم».

فلـمّا قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: «ماحملكم على

إلقائكم نعالكم؟».

قالوا: «رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا».

فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ جبريل ﷺ أتاني فأخبرني أنَّ فيها قذرًا».

وقال: «إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر: فإنْ رأىٰ في نعليه قذرًا أو أذىٰ فليمسحه وليصلِّ فيهما»[1].

الله أكبر! كم كانوا حريصين على المبادرة إلى التأسي به ﷺ، رضي الله عنهم وأرضاهم وجعلنا على دربهم.

٨ ـ خلع المرأة سواريها عند استماع تهديد النبي الكريم ﷺ:

لم يكن اتِّباع النبي الكريم ﷺ من قبل الرجال فحسب، بل كان كذلك من المؤمنات الصَّادقات اللواتي أحببنه ﷺ.

ومن الشواهد الدالة على ذلك مارواه الإمام أبو داود عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال:

«إنَّ امرأة أتتْ رسول الله ﷺ ومعها ابنة لها، وفي يد

---

(١) صحيح سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل، رقم الحديث ٦٠٥، ١/١٢٨

ابنتها مَسَكَتَان[1] غليظتان من ذهب، فقال: «**أتعطين زكاة هذا؟**»

قالت: «لا».

قال: «**أيسرّكِ أن يسوِّركِ الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟**».

قال: فخلعتهما فألقتهما إلى رسول الله ﷺ، وقالت: هما لله عز وجل ولرسوله»[2].

الله أكبر! لم تقتصر المرأة المؤمنة المحبَّة للرسول الكريم ﷺ على امتثال أمره بدفع زكاة السوارين، بل تنازلت عنهما وقدّمَتْهما إلى رسول الله ﷺ صدقة لله عز وجل. ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ.

---

(١) (مَسَكتان): تثنية مَسَكَة: وهي السِّوار. (انظر: غريب الحديث لابن الجوزي، باب الميم مع السين، ٢/٣٥٩).

(٢) صحيح سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب الكنز ماهو؟ وزكاة الحلِي، رقم الحديث ١٣٨٢، ١/٢٩١ وحسّنه الشيخ الألباني. (انظر المرجع السابق ١/٢٩١).

٩ - التصاق النساء بالجدار تنفيذا لأمره ﷺ بالمشي في حافات الطريق:

ولايظنّنّ أحد أن مثل تلك المسارعة إلى امتثال أمر الحبيب الكريم المصطفى عليه الصلاة والسلام من امرأة مؤمنة كان أمرًا نادرًا، أو حادثًا شاذًا. كلاّ، ورب الكعبة! لقد عرف من نظر في سيرهنّ أنّ هذا كان هو السائد فيهنّ.

فلنسمع عنهنّ مارواه الإمام أبو داود عن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد، فاختلط رجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله ﷺ: «**استأخرن فإنّه ليس لكنّ أن تَحْقُقْنَ**[1] **الطريق. عليكنّ بحافات الطريق**».

فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إنّ ثوبها يتعلّق بالجدار من لصوقها به»[2].

---

(١) (تَحْقُقْن الطريق): أي تركبن حقها وهو وسطها. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «حقق»، ١/٤١٥.

(٢) صحيح سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في مشي النساء مع الرجال في الطريق، رقم الحديث ٤٣٩٢، ٣/٩٨٩.

وقبل الانتقال إلى الحديث عن العلامة الرابعة فلنقف وقفة نحاسب فيها أنفسنا: أنحن رجالاً ونساءً كما كان الصّحابة والصّحابيات رضي الله عنهم؟

أليس كثير منّا يستفتح يومه بذبح سنة[1] الحبيب الكريم ﷺ؟

أليست كثير من المنتسبات إلى الإسلام يخالفنه ﷺ في خروجهنّ إلى الحفلات والأسواق؟

أليس بعض منّا ـ رجالاً ونساءً ـ إذا وصل إلى بيئة أجنبية لا يُعرَف أمن المسلمين هو أم من اليهودِ والنصارى؟.

(١) (بذبح سنة الحبيب الكريم ﷺ): أي بحلق لحيته.

المطلب الرابع
العلامة الرابعة
نصر سنته والذب عن الشريعة

من المعـروف أنّ المحبّ يبذل أوقاته وطاقاته وماملكت يمينه ونفسه للغاية التي يبذل لها حبيبه ماله ونفسه. وقد بذل الحبيب الكريم المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه جميع ماوهبه الله تعالى من طاقات وقدرات ومال ونفس لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبودية العباد إلىٰ عبادة رب العباد. وجاهد عليه الصلاة والسلام في الله تعالى حق جهاده لتكـون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلىٰ، وقاتل حتى لاتكون فتنة، ويكون الدين كله لله تعالى.

والذين أحبوه ﷺ يقتدون بهديه ويتأسّون بسيرته في هذا كله. قد كانـوا ولايزالـون ـ بحمـد الله تعـالى ومنتـه ـ يصرفون جميع مالديهم من طاقات وقدرات، ويقدّمون الأموال والأرواح

للغـــاية التي بذل لها الحبيب الكـــريم ﷺ الـوقت والمـال والنفس. وفيما يلي أستعـرض بعض مواقف أولئك الأبرار التي تدلّ على هذا.

١ ـ دعوة أنس بن النضر ﷺ إلى بذل النفس في سبيل الله وفداؤه نفسه:

حدث اضـــطراب ـ كما سبـق ذكـره ـ في الصفـوف الإسلامية في معركة أحد، وشاع بين الناس أنّ رسول الله ﷺ قد قُتِـل. فجلس بعض الصّحـابة متأثرين بهذا النبأ المفجع وقد ألقوا بأيديهم فانتهى إليهم أنس بن النضر رضي الله عنه فخاطبهم بقوله: «مايجلسكم؟».

قالوا: «قُتِل رسول الله ﷺ».

قال: «فـماذا تصنعـون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على مامات عليه رسول الله ﷺ»(١).

وكيف كان قيامه بنفسه دفاعًا عن الدّين وإعلاءً لكلمة الله تعالى؟ يحدثنا الإمام البخاري عن أنس رضي الله عنه

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٣/٣٠، وانظر أيضًا: السيرة النبوية لابن حبان البستي ص٢٢٥، وجوامع السيرة ص١٦٢

قال: «فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون[1] قال (أنس بن النضر رضي الله عنه): «اللهمَّ إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء» ـ يعني أصحابه ـ «وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء» ـ يعني المشركين ـ.

ثم تقدَّم فاستقبله سعد بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ فقال: «ياسعد بن معاذ! الجنة ورب النضر. إني أجد ريحها من دون أحد».

قال سعد ـ رضي الله عنه ـ: «فما استطعت يارسول الله! ماصنع».

قال أنس رضي الله عنه: «فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربةً بالسيف أو طعنةً برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتِل، وقد مَثَّل به[2] المشركون، فما عرفه أحد إلّا أخته ببنانه».

قال أنس رضي الله عنه: «كنّا نرى ـ أو نظنّ ـ أنّ هذه

---

(١) (انكشف المسلمون): وفي رواية «انهزم الناس». (انظر: فتح الباري ٢٢/٦).

(٢) (وقد مَثَّل به): هو من المثلة بضم الميم وسكون المثلثة، وهو قطع الأعضاء من أنف وأذن ونحوها. (انظر: المرجع السابق ٢٣/٦).

الآية نزلت فيه وفي أشبـاهه: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه﴾. إلى آخر الآية[1]. ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ.

٢ ـ سرور حرام بن ملحان ﷺ عند بخل نفسه أثناء تبليغه رسالته ﷺ:

مُحبّ صادق آخـر يُطْعَن أثنـاء تبليغـه رسـالة الرسول الكريم ﷺ فيُقْتَل، لكنه وجد فرصة قبل الانتقال إلى الدار الآخرة للإفصاح والتعبير عمّا في نفسه من غبطة وسرور بنيل هذه السعـادة العظمى. فماذا قاله ذلك المحبّ الصّادق؟ فلنقرأ قصته كما رواها الإمام البخاري عن أنس رضي الله عنه

«أنّ النبي ﷺ بعث خالـه ـ أخ لأم سُليم ـ في سبعين راكبًـا. فانطلق حرام أخو أم سليم ـ وهو رجل أعرج[2]،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب قول الله عز وجل: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا﴾، جزء من رقم الحديث ٢٨٠٥، ٦/ ٢١

(٢) (فانطلق حرام أخو أم سليم وهو رجل أعرج): يقول الحافظ ابن حجر: =

ورجل من بني فلان.

قال حرام: «كونا قريبًا حتى آتيهم فإن آمنوني كنتم[1]. وإن قتلوني أتيتم أصحابكم».

فقال: «أتأمنوني أن أبلِّغ رسالة رسول الله ﷺ؟».

فجعل يحدِّثهم[2] فأومؤوا إلى رجل فأتاه من خلفه فطعنه.

قال همام (أحد رواة الحديث): أحسبه حتى أنفذه بالرمح.

قال: «الله أكبر! فزت وربِّ الكعبة»[3]

= الذي يظهر أنَّ الواو في قوله (وهو) قُدِّمت سهوًا من الكاتب، والصواب تأخيرها، وصواب الكلام: «فانطلق حرام هو ورجل أعرج». (فتح الباري ٧/٣٨٧).

(١) (فإن آمنوني كنتم): وفي رواية: «فإن آمنوني كنتم قريبًا مني). (انظر: المرجع السابق ٧/٣٨٨).

(٢) (فجعل يحدِّثهم): وفي رواية الطبري: «فخرج حرام فقال: «ياأهل بئر مؤنة، إني رسول رسول الله ﷺ إليكم فآمنوا بالله ورسوله».

فخرج رجل من كسر البيت برمح فضربه بجنبه حتى خرج من الشق الآخر». (انظر: المرجع السابق ٧/٣٨٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع، ورِعل وذكوان، وبئر مؤنة، جزء من الحديث ٤٠٩١، ٧/٣٨٥ ـ ٣٨٦.

هذا هو الحبّ الصّادق الذي يجعل صاحبه يرى الفوز في بذل نفسه أثناء تبليغ رسالة حبيبه الكريم صلوات ربي وسلامه عليه.

وربّ الكعبة! إنّه هو الفوز. اللهم لاتحرمنا إيّاه. آمين يارب العالمين.

٣ ـ بعث الصديق جيش أسامة ﷺ رغم وفاته ﷺ والظروف الصعبة:

ابتُليَ أصحاب رسول الله ﷺ عند انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى أشدّ الابتلاء حيث ارتدت العرب وقصدوا مهاجمة المسلمين في معقلهم ـ المدينة المنورة ـ وصار الصحابة رضي الله عنهم كما وصفهم عمّار بن ياسر رضي الله عنه كنعم بلا راع، وصارت المدينة المنورة ـ على حسب تعبيره ـ أضيق على أهلها من الخاتم[١].

وفي مثل هذه الأحوال الصعبة والظروف العسيرة جاء أمر تنفيذ بعث أسامة رضي الله عنه الذي كان قد جهّزه رسول

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن حبان البستي ص٤٢٨.

الله ﷺ لقتال أعداء الله تعالى في ديارهم بعيداً عن المدينة المنورة، لكن الجيش كان قد توقّف نظراً لشدّة مرضه ﷺ ثم انتقاله إلى رحمة ربه.

فماذا كان موقف المحبّ الأكبر الصدِّيق رضي الله عنه تجاه أمر الحبيب الكريم ﷺ هذا؟ فلنسمع مايرويه الإمام الطبري عن عاصم بن عدي قال:

«نادىٰ منادي أبي بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله ﷺ:

«ليُتمّ بعث أسامة. ألا لا يبقينّ بالمدينة أحد من جند أسامة إلّا خرج إلى عسكره بالجرف[1]»[2].

ولما استأذن أسامة الصديق رضي الله عنهما في البقاء مع الجيش بالمدينة نظرًا إلى تقلّب الأحوال كتب إليه الصّدِّيق رضي الله عنه:

«ماكنت لأستفتح بشيء أولىٰ من إنفاذ أمر رسول الله ﷺ

---

(١) (الجُرْف): بالضم ثم السكون. موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام. (معجم البلدان، رقم ٣٠٥٣، ٢/١٤٩).

(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٢٣.

ولأن تخطفني الطير أحبّ إليّ من ذلك»[1]

ولـمّا أشير إلى خوف مهاجمة العرب على المدينة إذا سمعوا بوفاة الرسول الكريم ﷺ ردّ على هذا الصّدّيق رضي الله عنه بقوله:

«أنا أحبس جيشًا بعثهم رسول الله ﷺ. لقد اجترأت على أمر عظيم. والذي نفسي بيده لأن تميل العرب أحبّ إليّ من أن أحبس جيشًا بعثهم رسول الله ﷺ»[2]

وفي رواية عند الطبري قال: «والذي نفس أبي بكر بيده! لو ظننت أنّ السّباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته»[3].

ووالله الـذي لا إلـه غيره! هذا هو المحبُّ الأكـبر حقًّا للحبيب الكريم صلوات ربي وسلامه عليه. ثم نراه ـ رضي الله عنه ـ يخرج يشيّع الجيش وهو ماشٍ وأسامة رضي الله عنه راكب، وعبـدالـرحمن بن عوف رضي الله عنه يقود دابته،

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص١٠٠

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي (عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم) ص ٢٠ ـ ٢١.

(٣) انظر: تاريخ الطبري ٣/٢٢٥

فيقول له أسامة:

«ياخليفة رسول الله! والله! لتركبنّ أو لأنزلنّ».

فقال: «والله! لاتنزل، ووالله! لاأركب. وماعليّ أن أغبّر قدميّ في سبيل الله ساعة»[1].

وأوصىٰ أسامة رضي الله عنه بقوله:

«اصنع ماأمرك به نبي الله ﷺ. ابدأ ببلاد قضاعة ثم إيت آبل، ولاتقصّرنّ في شيء من أمر رسول الله ﷺ»[2].

وفي رواية أخرىٰ قال رضي الله عنه:

«امض ياأسامة! في جيشك للوجه الذي أمرت به، ثم اغز حيث أمرك رسول الله ﷺ»[3].

هذا هو ـ والله! ـ الحبّ الصّادق للحبيب الكريم المصطفىٰ ﷺ: الخروج في سبيل الله تعالى دفاعًا عن الدين وإعلاءً لكلمة الحق وفق أمر الحبيب الكريم صلوات ربي وسلامه عليه.

---

(١) تاريخ الطبري ٢٢٦/٣

(٢) المرجع السابق ٢٢٧/٣

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٠ ـ ٢١.

٤ ـ قتال الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة والمرتدين رغم الأحوال العصيرة:

ولـمّا جاء موضوع قتال مانعي الزكاة نشاهد هذا المحبّ الصّادق ـ رضي الله عنه ـ يفصح عن عزمه الصميم وقراره الثابت بقوله المشهور: «والله! لو منعوني عقالاً[1] كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه»[2].

ثم لما علم الصـدِّيق رضي الله عنه عزم بعض القبائل المـرتدة على مهاجمة المدينة المنورة خرج إليهم بنفسه شاهرًا سيفـه. تقول الصدِّيقة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «خرج أبي شاهراً سيفه راكباً راحلته إلى ذي القصة[3]»[4].

---

(١) (عقالًا): الحبل الذي يعقل به البعير الذي كان يؤخذ في الصدقة، لأنّ على صاحبهـا التسليم، وإنـما يقـع القبض بالرباط. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «عقل»، ٣/ ٢٨٠)

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قتال الناس حتى يقولوا: «لا إلـه إلاّ الله»، جزء من رقم الحديث ٣٢، ١/ ٥٢.

(٣) (ذي القصـة): قال نصر: ذو القصـة موضـع بينـه وبـين المدينة أربعة وعشرون ميلًا وهو طريق الربذة (معجم البلدان، رقم ٩٧٢٠، ٤/ ٤١٦).

(٤) البداية والنهاية ٦/ ٣٥٥.

ولما طُلِب منه البقاء بالمدينة وبَعْث من ينوب عنه ردّ على هذا بقوله:

«لا، والله! لا أفعل، ولأواسينّكم بنفسي»[1].

وكيف يجلس المحبّ الصّادق وقد شاهد أن الدين الذي جاء به الحبيب الكريم ﷺ يناديه؟ وكيف لايخرج وقد سمع الشريعة الغرّاء التي أنزلها الله على حبيبه المصطفىٰ ﷺ تستنفره وتستنصره؟

وأين نحن من هذا؟ أما نشاهد الدين الحق يستغيث بنا في مشارق الأرض ومغاربها؟ أما نسمع صيحات الشريعة الإسلامية الغرّاء تنادينا من أرجاء العالم من قريب وبعيد؟

فهل من مجيب؟

أما يُخْشَى أنّ بعضًا منّا ـ رغم ادعائه حبّ النبي الكريم ﷺ ـ قد صار ممن قال عز وجل عنهم: ﴿**لهم قلوبٌ لايفقهون بها ولهم أعينٌ لايبصرون بها ولهم آذان**

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٤٧ وانظر: أيضًا الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٢٣٣، والبداية والنهاية ٦/٣٥٥.

لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون﴾[1].

٥ ـ طلب البراء ﷺ برميه في حديقة العدو كي يفتح بابها من داخل:

وفي معركة اليمامة لجأ أصحاب مسيلمة الكذّاب إلى الحديقة وغلقوا عليهم الباب. فيطلب أحد المحبّين الصّادقين من إخوته برميه على جدار الحديقة كي يقتحم عليهم فيها فيفتح بابها للمسلمين. يروي لنا الإمام الطبري قصته بقوله:

«ثم زحف المسلمون حتى ألجأوهم إلى الحديقة: حديقة الموت، وفيها عدوّ الله مسيلمة الكذّاب، فقال البراء (بن مالك) ـ رضي الله عنه ـ: «يامعشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة».

وفي رواية قال: «يامعشر المسلمين! ارموني عليهم في الحديقة»[2].

---

(١) سورة الأعراف/جزء من الآية ١٧٩

(٢) انظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء للبستي ص٤٣٨.

فقال الناس: «لاتفعلٍ يابراء».
فقال: «والله! لتطرحني عليهم فيها».
فاحتُمِل حتى إذا أشرف على الحديقة من الجدار، اقتحم فقاتلهم عن باب الحديقة، حتى فتحها للمسلمين، ودخل المسلمون عليهم فيها، فاقتتلوا حتى قتل الله مسيلمة عدو الله»[1].

الله أكبر! كيف جعل البراء رضي الله عنه نفسه رخيصة في سبيل الله تعالى وهي غالية، بل ورب الكعبة! هي أغلىٰ من آلاف نفوس أمثالنا.

٦ ـ مبايعة أربعمائة من المسلمين على الموت في معركة اليرموك

وفي معركة اليرموك نشاهد أربعمائة من المحبّين الصّادقين يُبـايعـون على الموت دفاعًا عن الدين، وإعلاءً لكلمة الله تعالى، وإزالة للفتنة والفساد. فقد ذكر الحافظ ابن كثير عن أبي عثمان الغساني عن أبيه قال: قال عكرمة رضي الله عنه بن أبي جهل:

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٩٠ وانظر أيضًا: الكامل في التاريخ ٢/ ٢٤٦.

«قاتلت مع رسول الله ﷺ في مواطن وأفرّ منكم اليوم».

ثم نادىٰ: «من يبايع على الموت»؟

فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أُثبِتوا جميعًا جراحًا، وقُتِل منهم خلْق منهم ضرار بن الأوزر. رضى الله عنهم جميعًا[1].

٧ ـ صعود الزبير رضي الله عنه على رأس الحصن الكبير لفتح بابه من الداخل للجيش الإسلامي:

وفي مصر نجد محبًّا صادقًا آخر يهب نفسه لله تعالى ويفعل هو وأصحابه مافعله البراء بن مالك رضي الله عنه في معركة اليمامة. ولا غرابة في تشابههم هذا في الفداء والتضحية لأنهم كلهم خريجو مدرسة واحدة، ومحبو حبيب واحد، فالمدرسة هي المدرسة المحمدية، والحبيب هو الحبيب الكريم المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكىٰ التسليم. يروي لنا الإمام ابن عبدالحكم قصته وقصة

(١) البداية والنهاية ٧/١١ ـ ١٢، وانظر أيضًا: تاريخ الطبري ٣/٤٠١، والكامل في التاريخ ٢/٢٨٣.

أصحـابـه الأبـرار بقـوله: «فلما أبطأ الفتح على عمرو بن العاصِ ـ رضي الله عنه ـ قال الزبير ـ رضي الله عنه ـ:

«إني أهب نفسي لله، وأرجو أن يفتح بذلك على المسلمين».

فوضع سلّمًا إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام، ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيرهِ أن يجيبوه جميعًا.

فما شعـروا إلاّ والـزبـير على رأس الحصن يكـبّر، معه السيف، وتحامل الناس على السّلم حتى نهاهم عمرو خوفًا من أن ينكسر.

فلمّـا اقتحم الزبير وتبعه من تبعه وكبّر، وكبّر من معه، وأجـابهم المسلمـون من خارج، لم يشكّ أهل الحصن أنّ العرب قد اقتحموا جميعًا فهربوا

فعمد الزبير وأصحابه إلى باب الحصن ففتحوه، واقتحم المسلمون الحصن»[1].

ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ. ماأصدقهم حباً وفداءً لهذا الدين!

---

(١) فتوح مصر وأخبارها ص٥٢.

٨ ـ دعاء النعمان بن مقـــرِّن ﷺ أن يرزقه الله الشهادة بنصر المسلمين:

وفي معركة نهاوند نشاهد محبًّا صادقًا آخر يدعو الله تعالى أن يرزقه الشهادة بنصر المسلمين. فقد ذكر الحافظ الذهبي:

«قال النعمان «بن مقرِّن» ـ رضي الله عنه ـ: لـمّا التقىٰ الجمعان (في معركة نهاوند): «إن قُتِلتُ فلا يلوي عليّ أحد، وإني داع بدعوة فأمِّنوا».

ثم دعا: «اللهم ارزقني الشهادة بنصر المسلمين».

فأمّن القوم، فكان النعمان أول صريع»[1] ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ.

وفي رواية أنه قال: «اللهم اعزز دينك، وانصر عبادك واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك»[2].

ماأعظم هذا الدعاء وأجلّه! ومايُلقّاه إلاّ الذين صبروا،

---

(١) تاريخ الإسلام ص ٢٢٥

(٢) انظر: الكامل في التاريخ ٣/٥.

ومايلقاه إلَّا ذو حظٍّ عظيم.

٩ ـ اشتياق المسلمين إلى بذل أرواحهم في سبيل الله تعالى:

وأختم حديثي عن هذه العلامة بما ذكره عبادة بن الصّامت رضي الله عنه للمقوقس مبيِّنًا حرص المسلمين المحبّين الصّادقين للحبيب الكريم ﷺ على بذل أرواحهم في سبيل الله تعالى حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله، فقد قال رضي الله عنه:

«وما منّا رجل إلاّ وهو يدعو ربه صباحًا ومساءً أن يرزقه الشهادة، وألا يردّه إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده. وليس لأحد منّا همٌّ فيما خلفه، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده، وإنّما همنا ماأمامنا»(١).

أنحن كذلك؟

اللهم اجعلنا جميعًا كذلك آمين يارب العالمين.

---

(١) فتوح مصر وأخبارها ص٥٤.

الخـاتمة

الحمـد لله الذي أنعم على العبد الضّعيف بإنجاز هذا البحث، وأسأله سبحانه وتعالىٰ قبوله. ويتجلّى فيه عدة أمور منها:

١ ـ وجـوب محبّـة النبي الكـريم ﷺ أكثـر من النفس، والوالد، والولد، والأهل، والمال، والناس أجمعين.

٢ ـ إنّ حبّه ﷺ من أسباب الحصول على حلاوة الإيمان في الدنيا، ومرافقته ﷺ في الآخرة.

٣ ـ لحبّه عليه الصلاة والسلام علامات، منها:

(ا) الحـرص على رؤيتـه وصحبتـه ﷺ، ويكـون فقدهما أشدّ من فقد أيِّ شيء آخر في الدنيا.

(ب) استعداد تامّ لبذل النفس والمال دونه ﷺ.

(ج) امتثال أوامره واجتناب نواهيه ﷺ.

(د) نصر سنته والذبّ عن الشريعة.

٤ ـ ولقد كان الصّحابة رضي الله عنهم صادقين في حبّهم

للحبيب الكريم المصطفى عليه الصلاة والسلام. فكان النظر إلى وجه الكريم ﷺ ومرافقته أحبَّ إليهم من كل شيء في الدنيا. وكانوا يرون السعادة في فداء نفوسهم وأموالهم دون الرسول الكريم ﷺ. كما كانوا يُسارعون إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه. إنهم جعلوا أنفسهم الغالية رخيصة نصرة لسنته وذبًّا عن الشريعة التي أنزل الله تعالى عليه.

وأوصى نفسي وإخوتي المسلمين أن يكونوا على درب الصّحابة رضي الله عنهم في حبّهم للحبيب الكريم ﷺ. فإنّ الادّعاء وحده لايقدّم ولا يؤخر، ولايفيد صاحبه بل يضرّه.

وصلى الله تعالى على نبينا وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وبارك وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجــع

١ - «أيسر التفاسير» للشيخ أبي بكر جابر الجزائري الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٢ - «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير. ط: مكتبة المعارف بيروت. الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.

٣ - «بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني» للشيخ أحمد عبدالرحمن البنا. ط: دار الشهاب القاهرة، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٤ - «تاريخ الإسلام». للحافظ الذهبي بتحقيق د. عمر عبدالسلام تدمري. ط. دار الكتاب العربي بيروت. الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٥ - «تاريخ خليفة بن خيّاط». بتحقيق د. أكرم ضياء العمري. ط: دار طيبة الرياض. الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٦ - «تاريخ الطبري» المسمّى (تاريخ الأمم والملوك) للإمام ابن جرير الطبري بتحقيق الأستاذ أبي الفضل إبراهيم. ط: دار سويدان بيروت، بدون سنة الطبع.

٧ - «تفسير القرطبي». المسمّى (الجامع لأحكام القرآن) للإمام أبي عبدالله القرطبي. ط: دار إحياء التراث العربي بيروت. سنة الطبع ١٩٦٥م.

٨ - «تفسير الكشاف» لأبي القاسم جارالله الزمخشري. ط: دار المعرفة بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٩ - «جوامع السيرة» للإمام ابن حزم بتحقيق د. إحسان عباس و د. ناصر

الدين الأسد، الناشر: حديث أكادمي فيصل آباد باكستان. سنة الطبع ١٤٠١هـ.
١٠ ـ «زاد المعاد في هدي خير العباد ﷺ» للإمام ابن قيم الجوزية. ط: مؤسسة الرسالة بيروت ومكتبة المنار الإسلامية الكويت. الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٧هـ.
١١ ـ «سير أعلام النبلاء» للحافظ الذهبي. ط: مؤسسة الرسالة بيروت. الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.
١٢ ـ «السيرة النبوية وأخبار الخلفاء» للإمام ابن حبان البستي بتصحيح الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء. ط: مؤسسة الكتب الثقافية بيروت. الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
١٣ ـ «السيرة النبوية» للإمام ابن هشام بتقديم وتعليق طه عبدالرؤوف سعد. ط: مكتبة الكليات الأزهرية الأزهر، بدون الطبعة وسنة الطبع.
١٤ ـ «السيرة النبوية الصحيحة» للدكتور أكرم ضياء العمري. ط: مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة. سنة الطبع ١٤١٢هـ.
١٥ ـ «شرح النووي على صحيح مسلم» للإمام النووي. ط: دار الفكر بيروت، سنة الطبع ١٤٠١هـ.
١٦ ـ «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للإمام الجوهري. ط: دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، بتحقيق الشيخ أحمد عبدالغفور عطار.
١٧ ـ «صحيح البخاري» (المطبوع مع فتح الباري) للإمام البخاري. نشر

وتـوزيع : رئـاسـة إدارات البحـوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض، بدون سنة الطبع.

١٨ ـ «صحيح سنن أبي داود» باختصار السند، وصحّح أحاديثه الشيخ محمد ناصر الـدين الألبـاني. النـاشر: مكتب الـتربية العـربي لدول الخليج الرياض. الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٩ ـ «صحيح سنن ابن ماجة» اختيار الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض. الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م.

٢٠ ـ «صحيح سـنن النسائي» باختصار السند، وصحّح أحاديثه الشيخ محمد ناصر الـدين الألبـاني. النـاشر: مكتب الـتربية العـربي لدول الخليج الرياض. الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢١ ـ «صحيح مسلم» للإمام مسلم بن الحجاج القشيري بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي. نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض، سنة الطبع ١٤٠٠هـ.

٢٢ ـ «الـطبقـات الكـبرى» للإمـام ابن سعـد. ط: دار بيروت ودار صادر بيروت، سنة الطبع ١٣٨٨هـ.

٢٣ ـ «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعلاّمة بدر الدين العيني. ط: دار الفكر بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٢٤ ـ «غـريب الحـديث» للإمـام ابن الجوزي بتحقيق د. عبدالمعطي أمين قلعجي. ط: دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢٥ ـ «فتح الباري» للحافظ ابن حجر. نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض، بدون سنة الطبع.

٢٦ ـ «الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل». للشيخ أحمد عبدالرحمن البنا. ط: دار الشهاب القاهرة، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٢٧ ـ «فتوح مصر وأخبارها» لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم بتقديم وتحقيق الأستاذ محمد صُبيح. توزيع: مكتبة ابن تيمية القاهرة، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٢٨ ـ «الكامل في التاريخ» للإمام ابن لأثير. الناشر: دار الكتاب العربي بيروت. الطبعة السادسة.

٢٩ ـ «لسان العرب المحيط» للعلّامة ابن منظور الإفريقي. (إعداد وتصنيف: يوسف خياط). ط: دار لسان العرب. بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٣٠ ـ «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للحافظ نور الدين الهيثمي. ط: دار الكتاب العربي بيروت. الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.

٣١ ـ مختصر تفسير ابن كثيرة (اختصره وعلّق عليه الشيخ محمد نسيب الرفاعي). ط: مكتبة المعارف الرياض. الطبعة الخامسة، ١٤٠٨هـ.

٣٢ ـ «المستدرك على الصحيحين» للإمام أبي عبدالله الحاكم. ط: دار الكتاب العربي بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.

٣٣ ـ «المسند» للإمام أحمد بن حنبل بتحقيق الشيخ أحمد بن محمد شاكر. ط: دار المعارف بمصر. الطبعة الثالثة.

٣٤ ـ «مسند أبي يعلى الموصلي» بتحقيق وتخريج الأستاذ حسين سليم أسد.
ط: دار المأمون للتراث دمشق. الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣٥ ـ «معجم البلدان» للإمام ياقوت الحموي بتحقيق الأستاذ فريد عبدالعزيز الجندي ط: دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٣٦ ـ «منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود» للشيخ أحمد عبدالرحمن البنا. الناشر: المكتبة الإسلامية بيروت. الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

٣٧ ـ «الموطأ» للإمام مالك بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي. ط. عيسى البابي الحلبي وشركاه. سنة الطبع ١٣٧٠هـ.

٣٨ ـ «النهاية في غريب الحديث والأثر» للإمام ابن الأثير بتحقيق الأستاذين/ طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي. ط: المكتبة الإسلامية، بدون سنة الطبع.

الفهـرس

المطلب الأول

العــلامــة الأولى

الحرص على رؤيته وصحبته ﷺ، ويكون فقدهما أشد من فقد أيِّ شيء آخر في الدنيا

المطلب الثاني

العلامة الثانية

بذل النفس والمال دون الحبيب الكريم ﷺ

المطلب الثالث

امتثال أوامره واجتناب نواهيه ﷺ